جامعة الأزهــر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

المجــلة العلميــة

الأثر الدلالي لتغيُّر حركة البنية ومناسبة الحركة للدلالة

دراسة تطبيقية على " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)

إعداد

د / سعد كامل السيد أبو العز

مدرس أصول اللغة

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

جامعة الأزهــر

(العدد الثامن عشر ٢٠٢١م)

الأثر الدلالي لتغير حركة البنية ومناسبة الحركة للدلالة دراسة تطبيقية على" عمدة القاري شرح صحيح البخاري " لبدر الدين العيني ت ٨٥٥هـ

سعد كامل السيد أبو العز

قسم أصول اللغة، كلية: الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، الجامعة: الأزهر، المدينة: قنا، الدولة: مصر.

البريد الإلكتروني: SaadAbual-Ezz.4119@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

ورد هذا البحث مكونًا من: مقدمة مشتملة على أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره والتي تتمثل في أهمية الحركات ودورها في تنوع الدلالة مطبقًا ذلك على عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تمهيد بعنوان الأصوات اللغوية، واحتوى على: مفهوم الصوت، تصنيف الأصوات، أهمية الحركات، سبب تسميتها بذلك، الحركات من حيث الخفة والثقل، الفصل الأول: بين الضم والفتح واشتمل على الأمثلة التي أدى تعاقب الضم والفتح فيها إلى تغير الدلالة، الفصل الثاني: بين الفتح والكسر، واحتوى على أمثلة تعاقب الفتح والكسر، الفصل الثالث: بين الضم والكسر، وضمنته أمثلة تعاقب الضم والكسر المتنوعة الدلالة، الخاتمة: واشتملت على النتائج التي توصل إليها البحث، قائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية: الحركات، الدلالي، الصوت، البنية، البخاري.

The semantic effect of changing the movement of the structure and the appropriateness of the movement to signify an applied study on Umdat Al-Qari, Explanation of Sahih Al-Bukhari by Badr Al-Din Al-Aini, 855 AH.

Saad Kamel Al-Sayed Abu Al-Ezz

Department of: Language Fundamentals, College: Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, University: Al-Azhar, City: Qena, Country: Egypt

E-mail: SaadAbual-Ezz.4119@azhar.edu.eg

This research is made up of: An introduction including the importance of the research topic and the reasons for choosing it, which is the importance of movements and their role in the diversity of significance, as applied to the mayor of Al-Qari, the explanation of Sahih Al-Bukhari.A preface entitled Linguistic sounds, and it contains: the concept of sound, classification of sounds, the importance of movements, the reason for calling them that, movements in terms of lightness and weight.The first chapter: between damming and conquest and included examples in which the succession of damming and conquest led to a change of significance.The second chapter: Between the conquest and the breaking, and it contained examples of the succession of the conquest and the breaking.The third chapter: between addition and fracture, and included examples of succession of addition and fracture of various significance.Conclusion: It included the results of the research.List of sources and references.

Keywords: Movements, Semantic, Sound, Structure, Bukhari

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، سيدنا محمد بن عبد اللاه وعلى آله وصحبه ومن والاه ، ومن سار على نهجه واهتدى بهداه إلى يوم أن نلقى الله .

وبعد

فقد حظيت الدراسات الصوتية باهتمام علماء اللغة القدامى ، وقد بدا ذلك واضحاً جلياً في الدراسات الصوتية التي قدَّمها لنا الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في كتابه "العين" ثم جاء من بعده تلميذه سيبويه (ت ١٨٠ه) الذي تأثر بأستاذه وبدا اهتمامه بالناحية اللغوية الصوتية في " الكتاب" ثم يأتي العلَّامة ابن جني (ت ٣٩٢هـ) الذي أضاف ووضَّح وكشف ووصف وأرسى قواعدَ الدَّرس الصوتي، الذي اتَّضحت معالمه على يديه، وكان من بين الدراسات الصوتية الحركات .

أسباب اختيار الموضوع:

ونظراً لما للحركات من أهمية في اللغة العربية لا يمكن إغفالها ؛ إذ هي تفرِّق بين المعاني والدلالات للصيغ المشتركة، سواء أكانت من الأسماء أم من الأفعال، فقد حفلت كتب اللغة والتفسير وشروح الحديث بالأمثلة التي أدَّى تعاقب الحركات فيها إلى اختلاف الدلالة، وكان من بين هذه الكتب " عمدة القاري شرح صحيح البخاري " لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ) ، وقد وقع الاختيار عليه – بعد الاستخارة – لإعداد بحث فيه بعنوان : الأثر الدلالي لتغيُّر حركة البنية ومناسبة الحركة للدلالة.

وقد دار البحثُ حول الدور العظيم الذي تؤديه حركات البنية في التفريق بين معاني الصيغ المشتركة ليثبت أهميتها من خلال النماذج المستخرجة من " عمدة القاري" الذي اعتبرته الأساس لهذا البحث، مستعينا بكتب اللغة والمعاجم، وقد حاولت بقدر المستطاع بيان المناسبة بين الحركة والدلالة من حيث الخفة والثقل، وقد جاءت هذه الدراسة

المتواضعة في مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة ، وقائمة للمصادر والمراجع على النحو التالي:

المقدِّمة : اشتملت على أهمية موضوع البحث والمنهج المتبع .

التمهيد : وهو بعنوان: الأصوات اللغوية، واحتوى على: مفهوم الصوت، تصنيف الأصوات، الفرق بين الصوائت والصوامت، أهمية الحركات، سبب تسميتها بالحركات، الحركات من حيث الخفة والثقل .

الفصل الأول : بين الضم والفتح ، واشتمل على الأمثلة التي أدى تعاقُب الضم والفتح فيها إلى تغيُّر الدلالة .

الفصل الثاني : بين الفتح والكسر، واحتوى أمثلة تعاقُب الفتح والكسر التي أدَّى التعاقب فيها إلى اختلاف المعنى .

الفصل الثالث : بين الضَّم والكسر، وضمَّنته أمثلة تعاقب الضم والكسر المتنوعة الدلالة .

الخاتمة : واشتملت على النتائج التي توصَّل إليها البحث من خلال هذه الدراسة

قائمة المصادر والمراجع: ودوَّنت فيها أسماء المصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادته العلمية .

التمهيد

الأصوات اللغوية

مفهوم الصوت :

الصوت ظاهرة طبيعية نُدرك أثرها دون أن نُدرك كُنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرَّق إليها الشك أنَّ كلَّ صوتٍ مسموع يستلزم وجودَ جسمٍ يهتز، على أن تلك الهزات لا تُدرَك بالعين في بعض الحالات، كما أثبتوا أنَّ هزَّات مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل إلى الأذن الإنسانية .

والهواء هو الوَسَط الذي تنتقل خلاله الهزات في معظم الحالات، فخلاله تنتقل الهِزَّات من مصدر الصوت في شكل موجات حتى تصل إلى الأُذن (١) .

والصوت الإنساني ككلِّ الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها – في الغالب – الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النَّفَس من الرئتين يمرُّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن (٢) .

فالصوت الإنساني: هو تموُّجات هوائية في الممر الصوتي مصدرها– في الغالب – الحنجرة تشكلها أعضاء النطق (٣) .

تصنيف الأصوات : تنقسم الأصوات البسيطة التي يتألَّف منها الكلام إلى :

أ. صوامت: والصوت الصامت هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يعترضه عائق عند مرور النَّفَس اعتراضاً كاملاً – كما في صوت الدال – أو اعتراضاً جزئياً – كما في صوت الشين .

---

(١) الأصوات اللغوية د/ أنيس ص ٦ – مكتبة الأنجلو ط٥ ١٩٧٥م .

(٢) ينظر السابق ص ٨ .

(٣) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ ابراهيم أبو سكين ص ٢٢

ب- صوائت : حركات: والصوت الصائت أو الحركة: هو الصوت المجهور الذي لا يعترضه عائق عند مرور النَّفَس [١] .

ويعرِّف الأستاذ دانيال جونز الحركة بأنها: صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق والفم، ودون أن يتعرَّض لتدخُّل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً [٢] .

وأصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة حين تكون قصيرة ، وألف المد، وياء المد، وواو المد حين تكون طويلة، وما عدا ذلك فأصوات ساكنة أو صوامت [٣] .

الفرق بين الصوائت (الحركات) والصوامت :

يمكن التفريق بين الصوامت– الحروف الصحيحة – والصوائت– الحركات بنوعيها– من خلال الوظيفة التي يؤديها كل نوع منهما، ومعنى ذلك أن للصحاح وظيفة تختلف عن وظيفة العلل في نظام اللغة العربية، ومن وظائف الصِّحاح في اللغة العربية ما يأتي:

- إنها تكون أصولاً للكلمات العربية من حيث الاشتقاق، فتكون فاء الكلمة أو عينها أو لامها، أي تكون حروف مادتها من وجهة نظر المعجم، ولا تكون العلل (المد والحركات) كذلك، أما الواو والياء من بين الصحاح فإنَّهما قد تكونان حرفي لين لهما هذه الوظيفة التي للصحاح، وقد تكونان حرفي مد فتعتبران من العلل ولا تقومان بهذه الوظيفة .

---

(١) ينظر السابق ص ٤٢ .

(٢) أصوات اللغة العربية د/ عبد الرحمن أيوب ص ١٥٦، ١٥٧ – مكتبة الشباب .

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية د/ أنيس ص ٢٨ ، علم الصوتيات د/ أبو سكين ص ٤٥ ، المفيد في الأصوات والتجويد د/ يحيى الجندي ص٧٢ – ط٥ ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م .

- إنَّ الحروف الصحيحة تكون بدايةً للمقطع في اللغة العربية، ولا تكون العلل كذلك.
- إنَّ الجهرَ والهمسَ باعتبارهما قيمتين خلافيتين يفرِّقان بين الصحيح والصحيح، ولا يفرقان بين العلة والعلة؛ لأن العلل كلها مجهورة في اللغة العربية الفصحى .
- إنَّ الحروف الصحيحة إذا طالت كمِّيتُها – أي شُدِّدت – دلَّت إمَّا على تعدُّد المقاطع أو على الوقف فإذا قلنا – مثلاً – "علَّم" فإنَّ التشديد يدل هنا على تعدد المقاطع؛ لأن الكلمة مكونة من مقطعين هما "عـلْ" (ص ح ص) ، لـم (ص ح ص)، وإذا قلنا: "يا رب" فإن إسكان المشدد في الآخر يدلُّ على الوقف، أما حروف العلة فإن طول الكمية – المد– فيها لا يدلُّ على تعدد المقطع ولا يدل بالضرورة على الوقف .

وهناك وظائف تؤديها حروف العلة في اللغة، ولا تؤديها الحروف الصحيحة، يمكن أن نجملها على النحو الآتي :

- إن حروف العلة تؤدي مهمَّة جليلة في اللغة العربية؛ حيث تُعتَبر أساساً لقوة الإسماع sonority في هذه اللغة الراسخة القدم في تاريخ المشافهة .

- إذا كانت الحروف الصحيحة تنفرد بأنها أصول في الكلمات العربية، وهي من ثَمَّ أساس للتفريق بين مادة وأخرى من المعجم، فإنَّ حروف العلة تعتبر مناطاً لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة، فالفرق بين قَتَل وقُتِل وقتيل وقتول وهلم جرا من مشتقات " ق ت ل" فرق يأتي من نوع حروف العلة لا الحروف الصحيحة، ومن هنا تتحمَّل حروف العلة بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعية الكمية– التشديد والمد – أخطر الوظائف في تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية .

- إنَّ حروف العلة إن كان لا يبدأ بها المقطع فهي لا شك مركز المقطع العربي؛ حتى لتبدو من خلالها صلات معينة بين الكمية وبين النَّبر والتنغيم، ومن ثَمَّ تعتبر حروف العلة من العناصر الضرورية في بناء نظامي النبر في الصرف والتنغيم في النحو .

- إنَّ حرف العلة – حركةً كان أو مداً – يصلح بمفرده أن يكون علامةً إعرابية فيكون مفيداً إيجاباً بالذكر وسلباً بالحذف، ولا يكون الحرف الصحيح كذلك إلا ما رآه النحاة من أن النون تكون علامة رفع المضارع [١] .

أهمية الحركات

إتماماً للفائدة وإبرازاً لأسباب اختيار موضوع البحث سألقي الضوء على أهمية الحركات؛ وذلك لما لأصوات الحركة من أهمية كبرى في كلِّ لغات البشر، جاءت من الدور الذي تقوم به، واكتسبتها من طبيعتها وخصائصها، وتلك الأهمية تتلخص فيما يأتي:

- الحركات وسيلة للتغلب على صعوبة النطق، وتجنُّباً لتلك الصعوبة التي تنشأ من تجاور الصوامت فاللغة العربية تنفر من هذا التجاور، ولا يزيد عدد الأصوات الصامتة المتجاورة فيها عن صوتين دون أن تتخللهما حركة ؛ فهي تقوم بدور التيسير في النطق .
- الحركات أيضاً مقياس للآداء السليم للغة، فإذا عرف المتكلم الطريق الصحيح لإصدار كل حركة وفق النظام اللغوي العام جاء أداؤه مستوفياً شروط الجودة والصحة .
- وهي وسيلة طيِّعة في يد المتكلم لكي يلون كلامه كيفما يشاء، ووفق مقتضيات الموقف الكلامي، فإنشاد الشعر والغناء مثلاً يتطلبان تأدية الحركات بصورة معينة بحيث تكون أطول منها في الكلام العادي .
- الحركات هي أساس تقسيم الكلام إلى مقاطع، فالكلمات تُقسَّم إلى مقاطع بناءً على عدد الحركات التي فيها، هذا بالإضافة إلى أنها نواة المقطع، وأبرز جزءٍ فيه

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان ص ٦٨- ٧٢ بتصرف – عالم الكتب – ط٥ ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م .

- إنها تؤدي دوراً دلالياً من حيث القصر والطول، ففي اللغة العربية نلاحظ اختلاف المعنى بين الفعل الماضي (كتب) الدال على حدث الكتابة في الزمن الماضي والفعل (كاتَب) الدال على المشاركة في الكتابة زيادةً على المعنى السابق .
- وهي أيضاً تؤدي دوراً نحوياً إعرابياً وصرفياً كذلك، فعلى أساسها يتم التفريق بين صيغة وأخرى، أمَّا دلالتها على الإعراب فذلك مما لا يحتاج إلى بيان[١]
- أضف إلى ذلك أنَّ لها قيمة دلالية تتمثل في تنوع الدلالات حين تتناوب الحركات على كلمة واحدة؛ مما يؤدي إلى إثراء اللغة بتنوع دلالات ألفاظها وقدرتها على التعبير عن معانٍ متنوعة من خلال الجذر اللغوي الواحد .

وقد استخدم اللغويون القدماء مصطلح (الحركات) ويقصدون به الفتحة والكسرة والضمة ، فهذا أبو الأسود الدؤلي حين أراد أن يضبط المصحف " فأحضر من يمسك المصحف، وأحضر صبغاً يخالف لون المداد، وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحت فايَ فاجعل نقطةً فوق الحرف، وإذا كسرت فاي فاجعل نقطةً تحت الحرف، وإذا ضممت فاي فاجعل نقطةً أمام الحرف، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنَّة – يعني تنويناً– فاجعل نقطتين، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف" [٢] فقد صرَّح بمصطلح الحركات للتعبير به عن الضمة والكسرة والفتحة .

وها هو الخليل بن أحمد يؤكد لنا ذلك، فقد روى الأزهري عن " غير بن المظفر عن الخليل بن أحمد أنَّه قال: الحروف التي بُني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً، لكل حرفٍ منها صَرْفٌ وجرْس، أمَّا الجَرْس فهو فَهْم الصوت في سكون الحرف، وأمّا الصَّرف فهو حركة الحرف " [٣] .

---

(١) ينظر: علم الصوتيات د/ عبد العزيز علام ، د/ عبد الله ربيع ص ١٨٩– ١٩٣ – مكتبة الرشد ١٤٢٥ه = ٢٠٠٤م .
(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي٣/١٥٥– دار الكتب العلمية (بلا ط وتاريخ) .
(٣) تهذيب اللغة١/٤١–تح: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ٢٠٠١م

وقد صرَّح ابن جني بأن الحركات هي الفتحة والكسرة والضمة، وأنَّها أبعاض حروف اللين في قوله :" اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متي أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه(١) .

سبب تسميتها بالحركات :

لقد اهتدى ابنُ جني بفضل ما حباه الله به من عبقرية نادرة إلى أسبقية الحركات على حروف العلة التي هي من جنسها، ويتَّضح ذلك من قوله :" فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنها توابع للحركات ومتنشئة عنها، وأن الحركات أوائل لها، وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة، يؤكد ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت، فتشبع الفتح، فيتولد من بعدها الألف، وتشبع الكسرة، فتتولد من بعدها ياء، وتشبع الضمة، فتتولد من بعدها واو"(٢).

ولم يتوقَّف الأمر عند ذلك فحسب بل اهتدى أيضاً إلى سبب تسمية الحركات بهذا الاسم؛ وذلك لأنَّها تقلق الحرف المنوطة به، وتجتذبه نحو الحرف الذي هي بعض منه، وبدا ذلك واضحاً في قوله: " وإنَّما سُمِّيت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها، فالفتحة تجتذب

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب لابن جني ٣٣/١ ،٣٤ – دار الكتب العلمية بيروت – ط١ ١٤٢١ه = ٢٠٠٠م .

(٢) سر صناعة الإعراب ٣٨/١ .

الحرف نحو الألف، والكسرة تجتذبه نحو الياء، والضمة تجتذبه نحو الواو، ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها، فإن بلغ بها مداها، تكملت له الحركات حروفا، أعني ألفا وياء وواوًا " [١]، فهو بذلك يوضِّح لنا سبب تسمية (الحركات) بهذا الاسم وأنها تحرك الحرف الذي تقترن به وتقلقه وتجتذبه من سكونه وثباته إلى جهة الحرف الذي هي من جنسه .

الحركات من حيث الخفَّة والثِّقل :

للصوائت أو الحركات في العربية – سواء أكانت حركات إعراب أم بنية [٢]– قيمة تعبيرية ووظيفة دلالية؛ إذ بها يُفَرَّق بين المعاني والدِّلالات، وهذه الحركات تتفاوت أجراسُها قوةً وضعفاً، والمعاني المدلول عليها بالحركات تتوافق مع الحركات شدةً وقوةً وخفَّةً وضعفاً ، فالمعاني الشديدة القوية تحتاج من الأصوات ذات الجرس القوي للتعبير عنها، وكذلك المعاني الخفيفة تحتاج إلى ضد هذا [٣] .

وقد ذكر الزجاجي (ت٣٣٧هـ) أن أهمية حركات الإعراب تكمن في التعبير عن المعاني والدلالات المنوطة بها في قوله: " إنَّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلةً ومفعولةً ومضافةً ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلَّةً على هذه المعاني بل كانت مشتركةً، جُعِلَت حركات الإعراب فيها تُنْبِئُ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيدٌ عمراً، فدلُّوا برفع زيد على أن الفعل له، وبنصب عمرو على أنَّ الفعلَ واقع به، وقالوا : ضُرِبَ زيدٌ، فدلُّوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد على أن الفعلَ مالم يُسم

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٤٣ .

(٢) أقصد بحركات البنية هاهنا كل ما غاير حركة الإعراب التي تختص بأواخر الكلمات .

(٣) ينظر: الوظيفة الدلالية للصوائت والصوامت في التراث العربي تأصيلاً ودراسةً وتطبيقاً د/ عثمان الحاوي ص ٤٢ – ط١ ١٤٢٨ه= ٢٠٠٧م .

فاعله، وأنَّ المفعول قد ناب منابه، وقالوا هذا غلامُ زيدٍ فدلُّوا بخفض زيدٍ على إضافة الغُلام إليه، وكذلك سائر المعاني جعلوا الحركات دلائل عليها " (١) .

يتضح من نص الزجاجي السالف الذكر أنَّه جعل حركات الإعراب دوالٌّ على المعاني التي تعتور الأسماء كما يتضح من قوله: " ضُرِب زيدٌ، فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع زيد على أن الفعل مالم يُسم فاعله" أنَّ حركات البنية لها أهمية لا يُستهانُ بها في التعبير عن الدلالات المرادة .

وقد اتفق مع الزجاجي في رأيه في حركات الإعراب ابنُ فارس (ت ٣٩٥هـ) حيث جعل الإعراب هو المميز بين الدلالات، والفارق بين أغراض المتحدثين في قوله:" فأمّا الإعراب فبه تُميَّز المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين، وذلك أنّ قائلاً لو قال: "ما أحسنْ زيدْ" غيرَ معرب أو "ضربَ عمرْ زيد" غير معرب لم يوقَف على مراده، فإن قال: "ما أحسنَ زيداً" أو "ما أحسنُ زيدٍ" أو "ما أحسنَ زيدٌ" أبانَ بالإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها: فهم يفْرِّقُون بالحركات وغيرها بين المعاني" (٢).

فقد أكد على أهمية الحركات وما تقوم به من التفريق بين المعاني، والكشف عن مراد المتكلم، وأضاف أن ذلك خاص بالعربية، فالعرب يفرقون بالحركات بين المعاني والدلالات .

ولا تقِلُّ حركات البنية أهميةً عن حركات الإعراب في الدور الذي تؤديه من كشفٍ وتمييز بين معاني الصيغ المشتركة من الأسماء والأفعال حين تتناوب الحركات على هذه الصيغ فتعطي كلُّ حركةٍ دلالةً تختلف عن الدلالة التي تعطيها الحركة الأخرى، علماً بأن هذه الحركات تتفاوت من حيث الخفة والثقل، وقد أكَّد ذلك الفراء(ت٢٠٧هـ) في قوله:

---

(١) الإيضاح في علل النحو للزجاجي ص ٦٩ – تح: د/مازن المبارك – الناشر: دار النفائس بيروت – ط٥ ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس ص ١٤٣- الناشر: محمد علي بيضون – ط١ ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م .

"يستثقل الضمُّ والكسرُ لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين تنطمّ الرَّفعة بهما فيثقل الضمَّة ويُمالُ أحد الشِّدْقين إلى الكسرة فترى ذَلِكَ ثقيلًا، والفتحة تَخرج من خَرْق الفم بلا كُلْفة " (١).

وإذا رجعت إلى علم مخارج الحروف واستشهدت طبيعة الفتحة في نطقها وقِستها إلى غيرها من الحركات وجدت البرهان الجلي على خفَّة الفتحة، والشهادة لذوق العرب في استحبابها؛ وذلك أنَّ الفتحة القصيرة أو الطويلة – الألف– لا تكلِّف النَّاطق إلا إرسال النَّفس حراً، وترك مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء في تكييفه، أما الضمة وامتدادها وهو الواو فإنَّ النطقَ بها يكلِّفك ضم الشفتين ومطِّهما وتدويرهما حتى تحقق نطق الضمة أو الواو، واختبر ذلك في قُل وقُولوا، وراعِ هيئةَ الفم والشفتين حين النطق، وكذلك الكسرة وامتدادها وهو الياء تكلِّفك أن تكسرَ مجرى الهواء، وتحني طرفَ اللسان عند اللثة ليمثلَ الصوت ما تريد من الكسرة أو الياء كما ترى في صِيد وصِد (٢).

فمفهوم الثقل عند الفراء يرتبط بصعوبة النطق والجهد المبذول لإنتاج صوت الحركة، وهذا التفاوت في الخِفَّة والثقل بين الحركات مردُّه إلى تفاوت مخارج تلك الحركات أيضاً فـ" الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة " (٣) .

وجدير بالذكر أنَّ ظاهرة تنوع الدلالة بسبب تناوب الحركات قد عُني بها علماء اللغة منذ القدم ، فجاءت أمثلة تلك الظاهرة منثورة في معاجمهم فها هو الخليل بن أحمد

---

(١) معاني القرآن للفراء ١٣/٢– تح: مجموعة من المحققين – الناشر: دار المصرية – ط١ (بلا تاريخ) .

(٢) ينظر: إحياء النحو لابراهيم مصطفى ص ٥٦– الناشر: مؤسسة هنداوي .

(٣) سر صناعة الإعراب ٦٨/١ .

يقول: الجَهْد: ما جَهَدَ الإنسانَ من مرضٍ أو أمرٍ شاق ... والجُهد: شئ قليل يعيش بـه المقلُّ [١] .

وجاء في الصحاح : " والخِطة بالكسر: الأرض يختطها الرجل لنفسه، والخُطة بالضمِّ: الأمر والقصة " [٢] .

وقد تتناوب ثلاث حركات على جذر لغوي واحد وتعطي معانٍ مختلفة أوْ لا، وقد عُرِف هذا النوع بالمثلث اللغوي، وقد ظهر على يد محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦هـ) الذي اقتصر على المثلث المختلف المعاني، ثم توالت المؤلفات فيه فظهر كتاب " إكمال الأعلام بتثليث الكلام " لمحمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني (ت ٦٧٢هـ) وقد ضمَّنه صاحبه المثلث المتفق والمختلف المعاني .

ثم كثرت المؤلفات حول هذا النوع وظهر كتاب " الغرر المثلثة والدرر المبثثة " لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٩١٧هـ) وقد جمع فيه صاحبه عدداً كبيراً من المثلثات المختلفة والمتفقة المعاني .

ولما كان هذا الفن عظيم الفوائد جم المنافع ؛ إذ به " انقياد المتجانسات لطالبيها ، وامتياز الملتبسات بكشف معانيها"[٣] عمدتُ إلى الأمثلة الواردة في "عمدة القاري" وتناولتها بالشرح والتحليل مبيِّناً مناسبة الدلالة للحركة ما أمكن، وفيما يلي بيان ذلك :

---

(١) العين (ج ه د) ٣٨٦/٣ – تح: مهدي المخزومي، د/ابراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال(بلا ط وتاريخ) .

(٢) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (خ ط ط) ١١٢٣/٣ – تح: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين بيروت – ط٤ ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م .

(٣) إكمال الأعلام بتثليث الكلام ٣/١ – تح: سعد الغامدي – الناشر: جامعة أم القرى ط١ ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م .

الفصل الأول

بين الضم والفتح

البُهْم والبَهْم

قال العيني: والبُهْم بضم الباء الموحدة جمع الأَبْهم، وهو الذي لا شيةَ له، قال الكِرماني وقال القاضي: جمعُ بَهِيم، وهو الأسود الذي لا يخالطه لونٌ غيرُه، وهو شرُّ الإبل ... وأمَّا البَهْمُ بفتح الباء... فهو جمع بهيمة، وهي صغار الضأن والمعز [(١)]

يلاحظ هنا أن العيني فرَّق بين صيغتي البناء الواحد (البهم) من خلال تغاير حركة الباء؛ حيث وردت في نصِّه بضم الباء ويُعنى بها الأسوَد الخالص الذي لا يخالطه لونٌ آخر، وهو شرُّ الإبل، وبفتحها بمعنى صغار الضأن والمعز .

وقد ورد التفريق بين الصيغتين في كتب اللغة، يقول ابن السِّكِّيت:" والبَهم: جمع بَهْمة، وهي أولاد الضَّأن " [(٢)] .

وصرَّح ابنُ الأنباري بأنَّ " البُهْم: التي لا يُخالط سوادَها لونٌ آخر، يقالُ : أسود بهيم " [(٣)] .

وقيل: " البُهْم واحدها بَهِيم، وهو الذي لا يُخالطُ لونَه لونٌ سِواهُ ، من سَوَادٍ كان أو غيرِه " [(٤)] .

---

(١) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ٢٨٥،٢٨٦/١- دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (بلا ط وتاريخ) ، ويراجع شرح النووي على مسلم ١٦٣،١٦٤/١.

(٢) إصلاح المنطق ص ٢٢٨ – تح: محمد مرعب – دار إحياء التراث العربي– ط ، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م .

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢٥٩/٢ – تح: د/ حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

(٤) غريب الحديث للقاسم بن سلام ١٩٧/١ – تح: د/ محمد خان – مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد– ط ، ١٣٨٤هـ ، وينظر: تهذيب اللغة (ب ه م) ١٧٧/٦ .

ولا يخفى الفرق بين المعنيين الَّذين تسبَّب فيهما تغاير حركة الباء بين الضم والفتح، وقد ناسب كلا المعنيين الحركة المنوطة به والمعبرة عنه ، يعني أُعطي المعنى الأثقل للحركة الثقيلة التي هي الضمة فقد قيل في معنى " البُهْم: جمع بُهمة بالضَّمِّ وهي مشكلات الأُمور" [(١)]، وكلامٌ مبهمٌ: لا يُعرَفُ لَهُ وَجهٌ يؤتَى منه، وحائطٌ مبهمٌ لم يكُن فيه باب... والبُهمةُ: السَّوادُ، ويقال لليالي الثلاث التي لا يطْلَعُ فيها القمر: البُهمُ [(٢)] وفي الوسيط: " البُهْمة: الصخرة الصَّلدة الملساء، والمعضلُ من الأمور، والشجاعُ يُسْتَبهَمُ على قِرنِهِ وَجهُ غلَبَتِه " [(٣)] .

ولا يخفى ما في هذه المعاني من التعمية الناشئة عن السَّواد والظلمة، وصعوبة معضلات الأمور، والقوة التي في الصخرة الصَّماء والرجل الشجاع، فكل هذه المعاني تتناسب وثقل الضمة .

في حين لا يُطلَقُ (البَهمُ) بفتح الباء إلا على صغار الضأن والمعز التي لا يخفى ما فيها من ضعف وهزال يناسب خفَّة الفتحة .

فقد نتج عن التبادل الحركي بين الضم والفتح في باء (البهم) تنوُّعٌ دلالي ما كان ليوجد لولا وجود هذا التبادل الذي يعمل بدوره على تنوع دلالات البناء الواحد ومن ثَمَّ إثراء اللغة .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ب ه م) ١٦٨/١- تح: طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي _ المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ب ه م) ٣١٥/٣١- تح: مجموعة من المحققين – الناشر : دار الهداية (بلا ط وتاريخ) .

(٣) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة – الناشر: دار الدعوة (ب ه م) ٧٤/١.

الجُعل والجَعل

يقول العيني :" والجُعل بالضَّمِّ الاسم، وبالفتح المصدر، يقال: جعَلتُ لك جَعلاً وجُعلاً وهو الأُجرة على الشيء فعلاً أو قولاً " (١).

من خلال نص العيني السابق يلاحظ أنه اعتمد على اختلاف الضبط بالحركات في تغاير دلالة صيغة البناء الواحد (الجعل) فهو بضم الجيم- كما ورد في كتب اللغة – " ما جعَلت لإنسانٍ أجراً لهُ على عملٍ يعمله، والجَعَالة أيضاً" (٢) .

" والجُعل دابة سوداء من دوابِّ الأرض تُجمعُ جِعلاناً" (٣) .

والجَعلُ بفتح الجيم " مصدر جَعَلتُ لَهُ جَعلاً " (٤)، جعل الشيء جَعلاً : وَضَعَه، جَعَلَ بَعضَه فَوقَ بَعضٍ : ألقاه ، جعل القبيحَ حسناً : صيَّره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ أي صيَّرني، جعل البصرةَ بغداد: ظنها إياها، جعل له كذا على كذا : شارطه به عليه(٥) .

فقد أكَّدت نصوصُ اللغويين أنَّ تغاير الحركات يعطي دلالات متنوعة لصيغة البناء الواحد وقد صرَّح ابن الأثير قائلاً: " والجُعلُ الاسم بالضم ، والمصدر بالفتح ، يقال: جَعَلت كذا جَعلاً وجُعلاً، وهو الأجرة على الشيء فعلاً أو قولاً " (٦) .

---

(١) عمدة القاري ٢٣٠/١٤، ويراجع الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي ٨٨٤/٣- تح: د/ عبد الحميد هنداوي – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – ط٢١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

(٢) العين للخليل بن أحمد (ج ع ل) ٢٢٩/١ .

(٣) تهذيب اللغة (ج ع ل) ٢٤٠/١ .

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد (ج ع ل) ٤٨٢/١- تح: رمزي بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – ط١ ١٩٨٧م .

(٥) تاج العروس (ج ع ل) ٢٠٦/٢٨ .

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (ج ع ل) ٢٧٦/١ .

وقد عدَّ صاحب إكمال الأعلام (الجعل) من المثلثات اللغوية المختلفة المعاني والدلالات حيث قال: الجَعلُ: النَّخلُ القِصار، ومصدر جعل ... والجِعْلُ: لغة في الماء الجَعِل، والجُعْلُ: ما يُجْعَل لِمن عَمل شيئاً على عملِه [١] .

ولا يفوتنا أن نقول بتناسب الحركة – من حيث الخفة والثقل– مع المعنى المدلول عليه بها، يعني أن (الجعل) بضم الجيم : " الأجر الذي يأخذه الإنسان على فعل الشيء، وما يُعطاه المجاهدُ ليستعين به على جهاده " [٢]، وهذا الفعل أو العمل قد يكون شاقاً فيعظم الجُعل بعِظَم ومشقة هذا العمل، فناسب ذلك الثقل في دلالة الجعل ثقل الضمة، بخلاف الفتحة الخفيفة التي لا تعطي هذه الدلالة بل دلت على مجرد المصدر .

الحَزْن والحُزْن

قال العيني:" الْحَزن بِفَتْح الْحَاء الْمُهْملَة وَسُكُون الزَّاي، وَهُوَ فِي الأَصْل مَا غلظ من الأَرْض ضدُّ السَّهل وَاسْتُعْمل فِي الْخُلُق، يُقَال: فلَان فِي حُزُونة أَي: فِي خُلُقه غِلَظ وقساوة، والحُزْن بِالضَّمِّ الْهم "[٣].

من خلال النص السابق يلاحظ أن العيني ذكر الفرق بين صيغتي البناء الواحد (الحزن) من خلال تغاير حركة الحاء، فالحَزْن بفتح الحاء وسكون الزاي " المكان الغليظ الخشن، والحُزونة : الخشونة " [٤]، فـ" الحَزْن من الأرض ما غلُظ ، ومن الدَّوابِّ ما صَعُبَت رياضَتُه، ومن النَّاس من خَشُنَت مُعامَلَتُه " [٥] و" الحَزْن من الناس والدَّوابِّ :

(١) ينظر: إكمال الأعلام بتثليث الكلام ١١٣/١ ، وينظر: الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لابن المبرد– ٥٦١/٣– تح: رضوان مختار– الناشر: دار المجتمع– السعودية– ط١ ١٤١١هـ= ١٩٩١م .
(٢) التعريفات الفقهية لمحمد البركتي ص ٧١ – الناشر: دار الكتب العلمية ط١ ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م .
(٣) عمدة القاري ٢٠٧/٢٢ .
(٤) النهاية لابن الأثير (ح ز ن) ٣٨٠/١ .
(٥) المعجم الوسيط (ح ز ن) ص ١٧١ .

الذي فيه الحزونة والخشونة والشَّراسة " [١]، " وهو خلاف السَّهل ، والجمع حُزُون" [٢] وفي الحديث عن أنس أن رسول الله – ﷺ – قال : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعلُ الحَزْنَ سهلاً إذا شئت " [٣] .

والحُزْن– بضم الحاء– عبارة عمَّا يحصُلُ في النَّفس لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي [٤] .

والحَزَنُ بفتح الحاء والزاي لغةٌ فيه، قال الخليل: الحُزْنُ والحَزَنُ لغتان، إذا ثقَّلُوا فتحوا، وإذا ضمُّوا خفَّفُوا، يقال: أصابه حَزَنٌ شديدٌ ، وحُزْنٌ شديد ... وروى عن أبي عمرو: إذا جاء الحَزَن منصوباً فتحوه، وإذا جاء مكسوراً أو مرفوعاً ضمُّوه ، قال الله : ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ ﴾ [٥] وقال ﷻ: ﴿ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا ﴾ [٦] [٧]

و" الحُزْنُ والحَزَنُ: خلافُ السُّرور" [٨] .

---

(١) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى الأصبهاني (ح ز ن) ٤٤٢/١ – تح: عبد الكريم العزباوي– الناشر: جامعة أم القرى، دار المدني جدة ط١ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (ح ز ن)٢٣٤/١– الناشر: المكتبة العلمية – بيروت (بلا ط وتاريخ) .

(٣) صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان لمحمد بن حبان – باب ذكر ما يستحب للمرء سؤال الباري ﷻ تسهيل الأمور عليه إذا صعبت – برقم ٩٧٤– ٢٥٥/٣ – تح: شعيب الأرنؤوط– الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م .

(٤) كتاب التعريفات للجرجاني – ص ٨٦– تح : مجموعة من العلماء – الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – ط١ ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

(٥) سورة يوسف من الآية ٨٤ .

(٦) سورة التوبة من الآية ٩٢ .

(٧) العين (ح ز ن) ١٦٠،١٦١/٣ .

(٨) الصحاح للجوهري (ح ز ن) ٢٠٩٨/٥ .

فالحُزن بالضم: الهَمُّ، والهَمُّ والحُزْنُ قرينان، وهما من آلام الروح ومعذِّباتها، والفرقُ بينهما أنَّ الهمَّ توقُّعُ الشَّرِّ في المستقبل، والحُزنُ التألُّمُ على حصُول المكروه في الماضي، أو فوات المحبوب، وكلاهما تألُّمٌ وعذاب يَرِدُ على الرُّوح فإن تعلَّق بالماضي سُمِّي حُزناً، وإن تعلَّق بالمستقبل سُمِّي همًّا [١] ولا يخفى ما يُحدثه الحُزن في النفس البشرية فهو الهم الذي يذيب الجسم ، وصدق المتنبي في قوله :

والهَمُّ يخْتَرِمُ الجَسِيمَ نحَافةً ... ويُشيبُ ناصيةَ الصَّبيِّ ويُهْرِمُ [٢]

فالحزن يذهِبُ جسدَ العظيم الجسد هزالاً، ويشيب الصَّبيَّ قبل ميعاد المشيب، ويهرمُ الصَّبيَّ قبل أوانه [٣]، وهذا المعنى للحزن بثقله إنَّما أفادته الضمة الثقيلة، وما كانت الفتحة بخفَّتها لتعطي هذا الثقل في الدلالة، بل أفادت معنى الخشونة والوعورة ، فكأنَّهم أعطوا المعنى الثقيل للحركة الثقيلة، والمعنى الأخف للحركة الخفيفة .

الخَرْبة والخُرْبة

قال العيني: قوله (بخَرْبة) بفتح الخاء المعجمة، وسكون الراء بعدها باء موحدة وهي السرقة ... وقال ابن بطال: الخُربة بالضم الفساد، وبالفتح السرقة [٤] .

---

(١) ينظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي الأثيوبي – ٤٣٩/١٦– الناشر : دار بن الجوزي– ط١ ١٤٢٦هـ– ١٤٣٦هـ .

(٢) البيت من الكامل للمتنبي في الأمثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب بن عباد ص٣٣ – تح: الشيخ محمد حسن – مكتبة النهضة بغداد – ط١ ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م .

(٣) شرح ديوان المتنبي للعكبري – ١٢٤/٤– تح: مجموعة من المحققين – الناشر: دار المعرفة – بيروت (بلا ط وتاريخ) .

(٤) عمدة القاري ١٤٠/٢ ، ويراجع شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٨٢/١ – تح: ياسر ابراهيم – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – ط٢ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م .

صرّح العيني نقلاً عن بن بطال أنَ(الخَرْبة) بفتح الخاء تختلف عنها بضم الخاء ، يعني أنَّ تغاير الحركة تسبَّب في تنوع الدلالة، وقد أيَّدت كتبُ اللغة أنَّ الخُربةَ بالضمِّ الفساد في الدِّين .

قال الخليل : " وما رأينا من فلانٍ خُرْباً وخُربةً أي: فساداً في دينه أو شيئاً " (١) .

" والخَرَبة بالفتح : السَّرقة ، وقيل العيب " (٢) .

" والخَرَابُ عندهم سرقة الإبل خاصة ، يقال: رجلٌ خارب، ويسمون اللصوصَ خُرَّاباً " (٣)، " وخَرَب الرجلُ خَرْباً: سرق الإبل، وخِرابةً " (٤)

وهنا يتجلَّى دور الحركات في القدرة على تنويع الدلالة، وتظهر المناسبة بين الحركة والدلالة من حيث الخِفَّة والثقل؛ فقد أعطوا الفتحة الخفيفة المعنى المناسب (سرقة الإبل) بينما أُعطيت الضمة الثقيلة أثقل المعاني وهو الفساد في الدين، الذي هو أساس كل بلية، فهو أقدر من سواه على خراب وتقويض المجتمعات الإنسانية، وهذا المعنى عبَّرت عنه الضمة بثقلها .

الخُرْص والخَرْص

يقول العيني: قوله: (بخُرصها) بضم الخاء المعجمة حلقة الذهب والفضة تكون في الأذن ... والخَرْص بالفتح الكذب (٥) .

---

(١) العين (خ ر ب) ٢٥٦/٤، وينظر: التهذيب (خ ر ب) ١٥٥/٧ .

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض (خ ر ب) ٢٣١/١- الناشر: المكتبة العتيقة ، ودار التراث (بلا ط وتاريخ) .

(٣) أعلام الحديث للخطابي ٢١١/١- تح: د/محمد بن سعد- الناشر: جامعة أم القرى ط١ ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م .

(٤) كتاب الأفعال لابن القوطية – ص ٣٣- تح: علي فودة – الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة –ط٢ ١٩٩٣ م ، وينظر: كتاب الأفعال لابن القطاع ٢٩٠/١- الناشر: عالم الكتب ط١ ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م .

(٥) ينظر: عمدة القاري ٤٠/٢٢ .

لاحظ العيني الفرقَ بين صيغتي البناء الواحد(الخرص) من خلال تغاير حركة الخاء بين الضم والفتح ، وقد أيَّدت كتب اللغة وجود فرق دلالي بينهما :

فالخَرْص بالفتح: الكذب، والخرَّاصون في قوله جلَّ وعز: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ (١) : الكذَّابون، ويخْرُصون: يكذبون، والخَرْص: الحزْر في العدد والكيل، والخارصُ: يخْرص ما على النخلة، ثم يقسِم الخراجَ على ذلك" (٢) .

" واخترص فلانٌ كلاماً إذا اختلقه، وكذلك خَرَصَه وتخَرَّصه " (٣) .

" وأصل الخَرْص: التَّظنِّي فيما لا يَستَيقِنُه، ومنه قيل: خَرَصتُ النَّخلَ والكرمَ إذا حَزَرتَ ثمرَه؛ لأن الحرزَ إنَّما هو تقديرٌ بظنٍّ لا إحاطة، ثمَّ قيل للكذب: خَرص؛ لما يدخله من الظُّنون الكاذبة " (٤) .

" ومن المجازِ: الخَرصُ: الكِذب، والخَرصُ: كلُّ قولٍ بالظَّنِّ والتَّخْمين، ومنه أُخِذَ معنى الكذب؛ لِغَلَبَتِهِ فِي مثلِهِ، فهو خَارِصٌ وخَرَّاص، أي كذَّاب " (٥) .

"والخُرصُ بالضمِّ: الحَلْقَة من الذَّهب أو الفِضَّة " (٦) و" القُرطُ بحبَّةٍ واحدة فِي حلْقةٍ واحدة " (٧) والخُرصُ الدِّرعُ ؛ لأنَّها حِلَق مثل الخُرْص الذي في الأذن " (٨)

---

(١) الذاريات آية ١٠ .
(٢) العين (خ ر ص) ١٨٣/٤ .
(٣) الجمهرة (خ ر ص) ٥٨٥/١ .
(٤) تهذيب اللغة (خ ر ص) ٦١/٧ ، وينظر: تاج العروس (خ ر ص) ٥٤٤/١٧ .
(٥) تاج العروس (خ ر ص)٥٤٥/١٧ .
(٦) معجم ديوان الأدب للفارابي ١٥٥/١- تح: د/ أحمد مختار عمر- ط مؤسسة دار الشعب ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م ، الصحاح (خ ر ص) ١٠٣٦/٣ .
(٧) العين (خ ر ص) ١٨٤/٤ .
(٨) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة (خ ر ص) ٥٥/٥- تح: د/عبد الحميد هنداوي – الناشر: دار الكتب العلمية – ط ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م .

وقد أعطى الخُرصُ- بضم الخاء- دلالات أخرى فقيل: " الخُرصُ: الرُّمحُ ، والخُرصُ: شفرة السِّنان، والخُرْصُ: قضيبٌ من شَجرة ، والخُرصُ: الدَّنُّ، والخُرصُ: عودٌ يُخْرَجُ به العسلُ " (١) .

وكلُّها معانٍ حسِّية تُناسِبُ ثِقلَ الضَّمة فكأنَّهم ناسبوا بين الحركة والدِّلالة المعبَّر بها عنها، بخلاف ما أعطته الفتحة من دلالة معنوية – على الرغم مما يترتب على الكذب من أضرار- إلا أن دلالة الخَرص مفتوحاً عليه ناسبت خفَّة الفتحة .

وقد أكَّد صاحبُ إكمال الأعلام على وجود فرقٍ فى الدلالة بين صِيَغ البناء الواحد من خلال تغيُّر حركة الخاء فقال: " الخَرصُ: الكذب والحَرْز، والطَّعن بخَرص الرُّمح، والخِرص: الشيء المحزور، والزبيل، وعودٌ يشتار به العسل، والخُرْص: حلقة من ذهب أو فِضَّة ، وجمع خَريصٍ، وهو خليج البحر أو جانبه ، وشِبهُ الحَوض يتفجَّرُ فيه ماء النَّهر" (٢) .

الرَّوع والرُّوع

قال العيني: " والرَوع بفتح الراء وسكون الواو وبالعين المهملة: الخوف، وأما الرُّوعُ بضم الراء فهو النَّفس" (٣) .

يُلاحظ من خلال نص العيني الآنف الذكر أنَّه قد ترتَّب على تغيُّر حركة الراء من (الروع) تغيُّرٌ في الدلالة .

فالرَّوعُ بفتح الراء: " الفَزَع، راعني هذا الأَمرُ يَرُوعُني وارتعتُ له، وروَّعَني فتروَّعْتُ منه " (٤) و" رُعتُه أرُوعُه رَوعاً فهو مَرُوع وأنا رائعٌ " (٥)

(١) ينظر: المنجد في اللغة لكراع النمل ص٩٠ – تح: د/أحمد مختار عمر ، د/ ضاحي عبد الباقي- الناشر: عالم الكتب القاهرة – ط٢ ١٩٨٨م .
(٢) إكمال الأعلام ١٨١/١ .
(٣) عمدة القاري ١٦٠/٢٤ ، ٣٠٦/١٩ .
(٤) العين (ر و ع) ٢٤٢/٢ .
(٥) جمهرة اللغة (ر و ع) ٧٧٤/٢ .

و" الرَّوعةُ: الفَزْعة، وهي المرة الواحدة من الرَّوع: الفَزَع، والجمع رَوعات، ومن الحديث:" اللهم آمن رَوعاتي ، واستر عوراتي " (١) (٢) .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ ﴾ (٣) يعني الفزع ، أي: ارتياعه لمَّا نَكرهم حين لم يأكلوا من العجل (٤).

"والرُّوعُ بضمِّ الراء : النَّفس " (٥) ، " والرُّوع بالضم : القلب والعقل ، يقال : وقع ذلك في رُوعي أي في خَلَدي وبالي " (٦) .

ورُوعُ القلب : ذِهنُه وخَلَدُه ، تقول : وقع ذلك في رُوعي وفي خَلَدِي ، وقال: رُوعُه ورواعُه " (٧)

وقد أكد صاحب إكمال الأعلام على أنَّ الرَّوع بالفتح : الإفزاع ، والرُّوع بالضمِّ : القلب أو النَّفس (٨) .

وقد لُوحظ من خلال العرض السابق لبعض نصوص اللغويين أنَّ تغاير الحركات على راء (الروع) أدَّى إلى تنوع الدلالة، ولمَّا كانت الحركة الخفيفة تناسب المعنى الأخف ،

(١) الحديث ورد في مسند أحمد بلفظ " اللهُمَّ استُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي" برقم ٤٧٨٥- ٤٠٣/٨- تح: شعيب الأرنؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالةط١ ١٤٢١هـ = ٢٠٠١ م .
(٢) تاج العروس (ر و ع) ١٢٩/٢١ .
(٣) سورة هود من الآية ٧٤ .
(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٤/٣ ، الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهرري ٧٩٢/٣ – تح: أحمد المزيدي- الناشر: مكتبة نزار – السعودية – ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م.
(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٢٤/١ .
(٦) الصحاح (ر و ع) ١٢٢٣/٣ .
(٧) الإبانة في اللغة العربية لسلمة العوتبي ١٣٢/٣- تح: مجموعة من المحققين – الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة – عمان – ط١ ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م .
(٨) ينظر: إكمال الأعلام ١٧٠/١، ١٧١ .

والثقيلة لما هو أثقل فقد فرَّقوا بين دلالات البناء الواحد من حيث الخفَّة والثقل من خلال تنوع الحركات .

فالرَّوع بفتح الراء: الفزع والخوف الواقع في القلب والنَّفس، وأمَّا الرُّوع بالضَّم فهي النَّفس، وهي محلُّ الرَّوع، ففرَّقوا بين الحالِّ والمحلّ [١] .

والرَّوع بالفتح: الخوف، كأنه مأخوذ من الرُّوع بضم الراء وهو القلب، فاشتق له من اسمه [٢]، فناسب ذلك التعبير عن الأوَّل بالفتح ، وعن الثاني بالضم .

السَّحور والسُّحور

قال العيني:" والسَّحُور بفتح السين اسم ما يُتَسحَّرُ به من الطعام والشراب، وبالضمِّ المصدر والفعل نفسه" [٣] .

المتأمِّل في نص العيني السالف الذكر يجده قد أوجد فرقاً دلالياً بين صيغتي البناء الواحد(السحور) اعتماداً على تغاير حركة السين .

فالسَّحُور بفتح السين اسم الذي يُتَسَحَّرُ به [٤] فهو:" ما يُتَسَحَّرُ به وقتَ السَّحر من طعامٍ أو لبنٍ أو سَويق، وضِع اسماً لِما يؤكل ذلك الوقت، وقد تسحَّر الرَّجل ذلك الطعامَ أي أكله " [٥]

و" السِّحور بالفتح: ما يتسحَّر به الصائم من الطعام والشراب، أي ما يؤكل من نصف الليل إلى الفجر" [٦]

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل – ٥٢٩/١٠ – تح: الشيخ/ عادل عبد الموجود، علي معوض – الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م .

(٢) ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري١٤٧/٢ .

(٣) عمدة القاري ٢٩٦/١٠ .

(٤) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ٤٠/١ .

(٥) تهذيب اللغة (س ح ر) ١٧١،١٧٢/٤ ، وينظر: لسان العرب (س ح ر) ٣٥١/٤ .

(٦) التعريفات الفقهية لمحمد البركتي ص ١١٢.

والسُّحُورُ بالضَّم : المصدر والفعلُ نفسُه [١] أي "الأكل في السَّحَر وهو قُبيل الفَجر"[٢].

وبناءً على ذلك يصحُّ أن تقولَ: أكلتُ السَّحورَ- بفتح السين- ولا يصح أن تقولَ : أكلتُ السُّحور؛ لأن السَّحور هو الطعام الذي يؤكل، والسُّحور بالضم هو ممارسة الأكل، وتناول الطعام وقت السَّحر، يعني الفعل، فقد عُبِّر بالضمة الثقيلة عن فعل الأكل لمناسبتها لمشقة الفعل والحدث والأكل نفسه، وعبر بالفتح عمَّا ليس فيه مشقة، وهو الطعام نفسه الذي يؤكل في السحر.

الضُّر والضَّر

يقول العيني: " والضُّر بالضَّم: الضَّرر في النَّفس من مرضٍ وهزال، وبالفتح: الضَّرر في كل شيء " [٣] .

نستخلص من نص العيني – كالعادة- أنَّ تغيُّر حركة البناء الواحد (الضر) يترتب عليها تنوُّع في الدلالة فالضُّرُّ بالضم " الهُزال وسوء الحال " [٤] .

" قال أبو الدُّقَيش: كلُّ ما كان من سُوء حالٍ وفَقرٍ أو شدَّة في بَدَنٍ فهو ضُرٌّ"[٥]، ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا أيوب: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ [٦] قيل في تفسيره :الضُّر:

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر(س ح ر) ٣٤٧/٢ .

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه لابن شرف النووي ص ١٢٧ – تح: عبد الغني الدقر- الناشر: دار القلم – دمشق – ط١ ١٤٠٨ه .

(٣) عمدة القاري ٢٨٢/١٥ .

(٤) تهذيب اللغة (ض ر) ٣١٤/١١ .

(٥) لسان العرب (ض ر ر)٤٨٢/٤، تاج العروس(ض ر ر) ٣٨٤/١٢ .

(٦) سورة الأنبياء من الآية ٨٣ .

ما كان في النفس من مرضٍ وهزال [١] فالضُّر: ابتلاء من الله في جسده بمرضٍ أو غيره " [٢] .

والضَّرُّ بالفتح: ضِدُّ النَّفع، ضرَّه يُضرُّه ضَرًّا وضِراراً وأَضَرَّ به يُضِرُّ إضراراً [٣] .

"والضَّرَرُ: النُّقصانُ يدخلُ في الشيء، تقول: دخل عليه ضَرَرٌ في ماله " [٤]

والمتأمِّل في دلالة (الضر) بالفتح والضم يجد المناسبة بين الحركة والدلالة؛ حيث دلَّت الضمة الثقيلة على ثقل المعنى، فليس هناك أثقل من الضُّر في النفس والبدن، بينما دلَّت الفتحة الخفيفة على ما هو أخف من ذلك فالضَّر بالفتح يشمل الضَّرر في كلِّ شيء بعيداً عن النفس .

يقولُ الزمخشري:" والضَّر بالفتح: الضَّرر في كلِّ شيء، وبالضَّمِّ: الضَّرر في النفس من مرضٍ وهزال، فرَّق بين البناءين لافتراق المعنيين" [٥] .

وقد صرَّح أبو هلال العسكري أنَّ الضُّرَ بالضم أبلغ منه بالفتح؛ حيث أفاد المبالغة زيادة على الحدث، وأنَّه بالفتح يقع على أقلِّ الضَّرر فقال:" إنَّ الضُّرَّ أبلغُ من الضَّرر؛ لأن الضَّررَ يجري على ضرَّه يضُرُّه ضرًّا فيقع على أقل قليل الفعل لأنَّه مصدر جارٍ على فعله كالصفة الجارية على الفعل، والضُّرُّ بالضَّمِّ كالصفة المعدولة للمبالغة" [٦].

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري – ١٣٠/٣ – الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ ١٤٠٧ ه، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي– ٥٨/٤– تح: محمد المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ١٤١٨ه .
(٢) تفسير الشعراوي ٩٦١٦/١٥– مطابع أخبار اليوم (بلا ط وتاريخ) .
(٣) ينظر: النهاية (ض ر ر) ٨١/٣ ، لسان العرب (ض ر ر) ٤٨٢/٤ .
(٤) العين (ض ر) ٧/٧ .
(٥) الكشاف ١٣٠/٣ .
(٦) الفروق اللغوية ص ١٩٨ –تح: محمد ابراهيم سليم– دار العلم والثقافة– القاهرة (بلا ط وتاريخ)

وقد أوضح البعضُ ما يُشعر به تناوب الحركات من تنوع في دلالة (الضر)، وما تعطيه الضمة من ثقل الدلالة فقال: " الضُّرُّ بالفتح والضم ما يؤلم الظاهر من الجسم، وما يتَّصل بمحسوسه في مقابلة الأذى وهو إيلام النَّفس وما يتَّصل بأحوالها، وتشعر الضَّمةُ في الضُّر بأنَّه عن قهرٍ وعلوٍّ، والفتحة بأنَّه ما يكون من مماثلٍ أو نحوه " (١)

الضَّعف والضُّعف

يقول العيني: " وفرَّق بعضُهم بين الضَّعف والضُّعف فقال: الضَّعف بالفتح في العقل والرأي ، والضُّعف بالضمِّ في الجسد " (٢) .

صرَّح العيني بوجود فرق دلالي بين صيغتي بناء(الضعف) ، فهو بفتح الضاد معناه ضَعف رأي الإنسان وصوابه، وبضمها ما يصيب جسد الإنسان من مرض وهزال أو غيرهما، وقد أيَّدت كتب اللغة وجود فرق دلالي بينهما .

يقول الخليل : " ضَعُف يضْعُف ضَعْفاً وضُعفاً ، والضُّعف خلاف القوَّة ، ويقال : الضَّعف في العقل والرأي ، والضُّعف في الجسد " (٣) .

وقد جعلهما الأزهري " عند جماعة أهل البصر باللغة لُغَتان جيِّدتان مُستعملتان في ضَعف البدن وضعف الرأي " (٤) .

إلا أنَّ أكثر اللغويين ذهبوا مذهب الخليل ففرَّقوا بين البناءين في الدلالة. (٥)

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٤٣١/٦ – الناشر: المكتبة التجارية الكبرى– مصر – ط١ ١٣٥٦ه .
(٢) عمدة القاري ١٠٧/٢ .
(٣) العين (ض ع ف)٢٨١/١
(٤) التهذيب (ض ع ف)٣٠٦/١ .
(٥) ينظر: المحكم (ض ع ف) ٤١١/١ ، مشارق الأنوار (ض ع ف) ٦١/٢، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لمحمد بن عمر المديني (ض ع ف) ٣٢٥/٢– تح: عبد الكريم العزباوي – الناشر: جامعة أم القرى – ط١ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

وهنا يتجلَّى التناسب الدلالي بين المعنى والحركة ؛ فالحركة القوية – الضمة – تعطي دلالة قوية – الضُّعف في الجسد – من مرضٍ وغيره ، بينما تعطي الحركة الخفيفة – الفتحة– دلالة أخف من سابقتها – ضَعف الرأي ، وصواب العقل – وقد ذكر أبو هلال فرقاً بين البنائين في قوله: " إنَّ الضُّعف بالضَّمِّ يكون في الجسد خاصة، وهو من قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ (١)، والضَّعف بالفتح يكون في الجَسَد والرأي والعقل، يقال: في رأيه ضَعْف، ولا يقال فيه ضُعْف، كما يقال في جسمه ضُعفٌ وضَعف " (٢)

وعلى ذلك فالضَّعف : وهْن القوَّة حِسًّاً أو معنى ، ويكون فى النَّفس وفي البدن ، وفي الحال، فهو بالضَّم في البدن – حسِّي – وبالفتح في العقل والرأي – معنوي– (٣)، فكأنَّهم أعطوا الدلالة الحسية – ضعف البدن – للحركة القوية – الضمة – وأعطوا الدلالة الخفيفة – ضعف الرأي وصوابه – للحركة الخفيفة – الفتحة – وبذلك تقع المناسبة بين الحركة والدلالة المنوطة بها .

الغَسْل والغُسْل

نص العيني: " ﴿ فَٱغْسِلُواْ ﴾ (٤) أمر للجمع المذكر الحاضرين من غَسَلَ يغْسِل غَسْلاً وغُسْلاً بالفتح والضم كلاهما مصدران، وقيل الغَسْل بالفتح مصدر، وبالضَّمِّ اسم للاغتسال " (٥) .

---

(١) سورة الروم من الآية ٥٤ .

(٢) الفروق اللغوية ص ١١٦ .

(٣) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٢٢٣ – الناشر: عالم الكتب – القاهرة – ط١ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

(٤) سورة المائدة من الآية ٦ .

(٥) عمدة القاري ٢٢٧/٢ .

يتَّضح من نص العيني وجود فرق بين (الغَسْل) بفتح الغين و(الغُسْل) بضمها، وقد صرَّح بهذا كثيرٌ من شرَّاح السُّنة [١] .

وقد أثبتت كتبُ اللغة أنَّ هناك فرقاً دلالياً بين الصيغتين، قال ابن دريد :" والغَسْل مصدر غَسَلْتُ الشيءَ أغْسِله غَسْلاً ، والغُسل الاسم، والغَسل المصدر " [٢] .

فـ" الغُسْل : تمام غَسْل الجلد كله، والمصدر: الغَسْل " [٣] .

وقيل: " هو بالفتح اسم الفعل، وبالضمِّ اسم الماء، وهو قول أبي زيد، وقد قيل فيهما جميعاً اسم الفعل ، وهو قول الأصمعي " [٤] .

وقد عدَّ صاحب إكمال الأعلام (الغسل) من المثلث اللغوي المختلف المعاني في قوله: " الغَسْل مصدر غَسَلَ الشَّيءَ بالماء: طهَّره ، والغِسْل: ما يُغْسَل به الرَّأس من خطمي ونحوه، والغُسْل: الاغتسال، والماء الَّذي يُغْسَلُ به " [٥] .

مما سبق ذكره من أقوال اللغويين ثبت أن(الغسل) تتنوَّع دلالته بتنوع حركة الغين بين الضم والفتح، وقد تناسبت تلك الدلالات مع الحركات من حيث الخفة والثقل، فأُعطي

---

(١) ينظر: الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب لمحمد اليفرني ١/٧١- تح: د/عبد الرحمن العثيمين – الناشر: مكتبة العبيكان ط ٢٠٠١م ،الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني ٢/٣ – الناشر: دار إحياء التراث العربي – ط١ ١٤٠١هـ=١٩٨١م ، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح لشمس الدين البرماوي ٢/٣٦٩- تح: لجنة مختصة – الناشر: دار النوادر – سوريا – ط١ ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

(٢) الجمهرة(س غ ل)٢/٨٤٥، وينظر:الصحاح (غ س ل) ٥/١٧٨١، المحكم (غ س ل)٥/٤٣١

(٣) تهذيب اللغة (غ س ل) ٨/٦٨ .

(٤) مشارق الأنوار(غ س ل) ٢/١٣٨ .

(٥) إكمال الأعلام ٢/٤٦٧ .

أثقل المعاني لأثقل الحركات– الضمة– وأخف المعاني لأخف الحركات– الفتحة – فالغُسْل بضم الغين: اسم من الاغتسال وهو غَسْلُ تمام الجسد كلِّه [١] .

" قال ابن القوطية: الغُسْلُ تمام الطهارة ، وهو اسم من الاغتسال [٢] .

فقد أفادت الضمة الثقيلة التأكيد على تعميم غَسْل الجسد بالماء ، وتمام طهارته ، بينما أفادت الفتحة الخفيفة الدلالة على المصدر الذي دلّ على إسالة الماء على الجسد مع التقاطر[٣] .

الفُرجة والفَرجة

قال العيني: " قوله :(فُرْجة) بضم الفاء وفتحها، والفُرجة في الحائط كالشَّق، والفَرجة انفراج الكروب، وقال النحاس: الفَرجة بالفتح في الأمر، والفُرجة بالضم فيما يُرى من الحائط ونحوه " [٤] .

يُلاحظ في نص العيني اختلافُ دلالة لفظ (الفرجة) باختلاف حركة الفاء بين الضمِّ والفتح، فالفُرجة بضم الفاء " فُرجة الحائط وما أَشبهه، يقال: بينهما فُرْجة أي انفراج "[٥]، يُعني أنَّ " الفُرْجة في الحائط وغيره : الشَّق " [٦] .

---

(١) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب (غ س ل) ص ٣٤٠، لسان العرب (غ س ل) ٤٩٤/١١ .

(٢) ينظر: كتاب الأفعال ص ١٩٦، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(غ س ل) ٤٤٧/٢ .

(٣) ينظر: التعريفات الفقهية لمحمد البركتي ص ١٥٧ .

(٤) عمدة القاري ٢/١٢، ٣١/٢٤ .

(٥) الصحاح (ف ر ج) ٣٣٤/١ .

(٦) مقاييس اللغة (ف ر ج) ٤٩٨/٤ .

" فَرَجْتُ بين الشيئين فَرْجاً من باب ضَرَبَ فتحتُ، وفرج القومُ للرَّجُلِ فَرْجاً أَيضاً أَوسَعوا في الموقِفِ والمَجلس، وذلك الموضع فُرْجةٌ والجمع ُ فُرَج مثل غُرْفة وغُرَف، وكلُّ مُنْفَرِج بين الشَّيئين فهو فُرْجةٌ، والفُرْجَة بالضم أيضاً في الحَائِط ونَحْوِهِ الخلل، وكلُّ موضع مخافةٍ فُرْجة " (١) .

وفي الحديث : " ولا تذروا فُرُجات الشيطان" (٢) " جمع فُرْجة، وهو الخلل الَّذي يكون بَين المُصلِّين في الصَّفوف " (٣) .

والفَرْجة بفتح الفاء: " الرَّاحة من حُزْنٍ أو مرض" (٤)، وقيل إنَّ الفَرجة بهذا المعنى مثلَّثة الفاء (٥)

" والفَرجة بالفتح مصدرٌ يَكونُ في المعاني وهي الخُلُوصُ من شِدَّة " (٦)، فهي " انفراج الغَمِّ وانكشافه " (٧) .

قال أمية بن أبي الصّلت : رُبَّما تَكْرَهُ النُّفُوسُ من الأَمرِ ، لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ(٨)

---

(١) المصباح المنير (ف ر ج) ٤٦٥/٢ .
(٢) الحديث ورد بهذا النص في المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص برقم ٢٦٣٠ – ٣٢٧/٣ – تح: نبيل جرار– الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– قطر– ط١١٤٢٩ هـ
(٣) لسان العرب (ف ر ج)٣٤١/٢ .
(٤) المحكم (ف ر ج) ٣٩٧/٧ .
(٥) ينظر: إكمال الأعلام ١٤/١ ، المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح ص ١٢٨ – تح: محمود الأرناؤوط ، وياسين الخطيب – الناشر: مكتبة السوادي ط١ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م
(٦) المصباح المنير (ف ر ج) ٤٦٥/٢ .
(٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥١٣٦/٨ .
(٨) البيت من الخفيف وهو لأمية بن أبي الصلت في الحماسة للبحتري ص٤٣٧ – تح: د/ محمد ابراهيم، أحمد محمد عبيد – الناشر: هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث – عام النشر ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي ٩/١٠ – تح: الشيخ عبدالسلام هارون – الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٤ ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م .

عبَّر بالفَرجة – بالفتح – عن الخلاص من الهم والكرب .

وبعد هذا العرض بقي القول بمناسبة الدلالة للحركة المعبرة عنها؛ حيث دلَّت الضمة الثقيلة على أنَّ (الفُرجة) تكون في الأمور المحسوسة كفرجة الحائط والباب والجبل والفسحة بين المصلين وغيرها، ودلَّت الفتحة الخفيفة على أنَّ (الفَرْجة) تكون في الأمر المعنوي كالخلاص من الهم والحزن والمرض وغيرها .

وقد أكد ذلك أ/ أحمد رضا في قوله : الفَرجةُ : الرَّاحة من حُزْنٍ أو مرض، التَّفصِّي من الهمِّ ، وأكثر ما يكون الفتح في المعاني ، والضَّمُّ في غيرها ، كفُرجة الحائط والباب وغير ذلك ، قال ابن الأعرابي : فُرجة اسم ، وفَرْجة مصدره [١] .

قال الفيومي : " والفَرجة بالفتح : مصدرٌ يكون في المعاني " [٢] .

(١) معجم متن اللغة (ف ر ج) ٣٧٧/٤ – الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٣٧٧: ١٣٨٨هـ .

(٢) المصباح المنير (ف ر ج) ٤٦٥/٢ .

الفصل الثاني
بين الفتح والكسر

البَيْعَة والبِيْعة

يقول العيني: " قوله عن بيعتين تثنية بيعة بفتح الباء الموحدة وكسرها، والفرق بينهما أنَّ فَعْلة بالفتح للمرة ، وبالكسر للهيئة " (١) .

من خلال تغيُّر باء (بيعة) بين الفتح والكسر صرَّح العيني بوجود فرق في الدلالة بينهما؛ حيث دلَّت الفتحة على وقوع البيع مرةً واحدة، والكسرة على ذلك وعلى الهيئة التي وقع بها البيع .

وقد ورد في كتب النحو" أنَّ بناء المرة من المجرَّد على فَعْلة، تقول: قمتُ قَومةً ، وشربتُ شَرْبَةً " (٢)، والهيئة على وزن فِعْلَة نحو الجِلْسة (٣) .

فاسم المرَّة مصدرٌ يدلُّ على وقوع الحدث مرَّةً واحدةً، واسم الهيئة مصدرٌ يدلُّ على هيئة الفعل حين وقوعه (٤) .

وقد أيَّدت المعاجم ذلك، قال الخليل:" والبَيْعَةُ: الصَّفقة على إيجاب البيع" (٥) ، وجاء في تاج العروس:" البِيْعَةُ: هيئةُ البيع كالجِلْسة والرِّكية،يقال: إنَّه لحسن البِيْعة" (٦) وفي

---

(١) عمدة القاري ٨٠/٥ .

(٢) المفصَّل في صنعة الإعراب للزمخشري ص ٢٨٠ – تح: د/علي بو ملحم – الناشر: مكتبة الهلال – بيروت – ط١ ١٩٩٣م .

(٣) ينظر: إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك ص ٧١ – تح: محمد المهدي – الناشر: عمادة البحث بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ط١ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م .

(٤) النحو الواضح في قواعد اللغة العربية– تأليف: علي الجارم ومصطفى أمين ٢٥١/٢ – الناشر: الدار المصرية السعودية (بلا ط وتاريخ) .

(٥) العين (ب ي ع) ٢٦٥/٢ .

(٦) تاج العروس (ب ي ع) ٣٦٩/٢٠ .

النهاية: " البِيْعَةُ بالكسر من البيع: الحالة كالرِّكْبَة والقِعْدَة" (١)، وبعد.. فقد أعطت الفتحة الخفيفة دَلالة تتناسب وخِفَّتها، وهي مجرَّد وقوع البيع مرة واحدة، بينما أعطت الكسرة الثقيلة زيادةً على وقوع الحدث مرةً واحدة وهي هيئة وكيفيَّة وقوع البيع .

الجَنَازةُ والجِنَازة

قال العيني: والجَنائزُ جمع جنازة بالجيم المفتوحة والمكسورة ، والكسر أفصح ، وقيل بالفتح للميت ، وبالكسر للنَّعش وعليه الميت " (٢) .

صرَّح العيني بأنَّ (الجَنَازة) بفتح الجيم وكسرها بمعنى واحد، ثم عرض قولاً آخر يقول بوجود فرق بين المفتوحة الجيم والمكسورة، وقد صرَّح بعضُ اللغويين بأنَّهما بمعنى .

قال الخليل: " الجِنازة بنصب الجيم وجرِّها: الإنسان الميِّت " (٣) يُعني أنَّ كليهما يطلق على الإنسان الميت بسرير أو بغير سرير .

وأكد ذلك الفارابي قائلاً : " الجَنَازة لُغةٌ في الجِنازة " (٤) .

وقال ابن الجوزي: " والجنازة بالكسر والفتح : الميت بسريره " (٥) .

وقد فرّق البعضُ بين البناءين، قال الأزهري: " يقال للسرير إذا سوى عليه الميت وهُيِّئ للدَّفن جِنَازة – بكسر الجيم – ولا يسمَّى جِنازة حتى يُشَدُّ الميِّتُ مُكفَّناً عليه، وأمَّا الجَنَازة – بفتح الجيم – فهو الميِّت نفسُه، يقال: ضُرِب فلانٌ حتى تُرِك جَنَازةً " (٦) .

---

(١) النهاية (ب ي ع) ١٧٤/١ .

(٢) عمدة القاري ٢٧٠/١ ، ١١٦/٤ .

(٣) العين (ج ن ز) ٧٠/٦ ، وينظر: المحكم (ج ن ز) ٢٩٩/٧ .

(٤) معجم ديوان الأدب ٣٨٥/١ .

(٥) النهاية (ج ن ز) ٣٠٦/١ .

(٦) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري ص ٨٩- تح: مسعد السعدني – الناشر: دار الطلائع (بلا ط وتاريخ) .

وأكد الخطابي ذلك في قوله : " ومنهم من يفرِّق بينهما فيجعَل الجَنازةُ بفتح الجيم بدنَ الميِّت، والجِنازة بالكسر السَّرير " (١) .

ومنه قول الكميت يذكر النَّبي – ﷺ – :

كان ميْتاً جَنَازةً خيرَ ميْتٍ ... غيَّبته حَفَائرُ الأقوام (٢)

فقد أورد لفظ (جَنَازة) بفتح الجيم بمعنى بدن الميت .

وإذا سلَّمنا بوجود فرق بين البناءين – من حيث الدلالة– ترتَّب على تغيُّر حركة الجيم بين الفتح والكسر فلابد من القول بالمناسبة بين الحركة والدلالة المنوطة بها ، فقد دلَّت الفتحة الخفيفة على الميت نفسه قبل حمله ، وأعطت الكسرة الثقيلة دلالة أثقل من ذلك؛ مناسبةً مع ثقلها، وهي وجود السرير مع الميت، وحمله على الأعناق ،ولا يخفى ما في ذلك من مشقة الحمل ، وثقل سرير الميت، وهو ما يتناسب مع ثقل الكسرة.

الدَّعوة والدِّعوة والدُّعوة

قال العيني: قلتُ: قالوا: الدَّعوة بالفتح في الطعام والدِّعوة بالكسر في النَّسب، والدُّعوة بالضم في الحرب " (٣) .

ذكر العيني لضبط عين (الدعوة) ثلاثةَ أوجه الفتح والكسر والضم، وكلٌّ وجهٍ منها يعطي دلالةً تختلف عن الوجه الآخر .

فـ " الدَّعوة إلى الطعام بالفتح، يقال: كُنَّا في دَعوة فلانٍ، وهو في الأصل مصدرٌ، يريدون الدُّعاء إلى الطعام " (٤) .

---

(١) غريب الحديث للخطابي ٢٣٤/١– تح: عبد الكريم العرباوي – الناشر: دار الفكر – دمشق – عام النشر ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م ، وينظر: الإبانة في اللغة العربية ٣٦٠/٢ .

(٢) البيت منسوب للكميت في تهذيب اللغة (ج ن ز) ٣٢٩/١٠ ، غريب الحديث للخطابي ٢٣٤/١ ، اللسان (ج ن ز) ٣٢٥/٥ .

(٣) عمدة القاري ١٢٢/٥ .

(٤) الصحاح (د ع و) ٢٣٣٦/٦ ، وينظر: تاج العروس (د ع و) ٤٩/٣٨ .

قال الفيومي: " والدَّعوة بالفتح في الطعام اسمٌ من دعوتُ النَّاس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك، يقال: نحن في دَعوة فلان ومَدعاته ودُعائه بمعنى " (١) .

وقد وردت المفتوحة بمعنى الدَّعوة إلى الطعام في حديث أبي هريرة قال: شرُّ الطعام طعام الوليمة، يُدعَى لها الأغنياءُ، ويُدْفَعُ عنها الفقراءُ، ومن ترك الدَّعوةَ فقد عصى اللهَ ورسولَهُ " (٢) .

وأما " الدِّعوة بكسر الدَّال فادِّعاء الوَلدِ الدَّعِي غيرَ أبيه، يقالُ: دَعيٌّ بيِّن الدِّعوة والدِّعاوة " (٣) " إذا كان يدَّعِي إلى غير أبيه أو يدَّعيه غيرُ أبيه، فهو بمعنى فاعلٍ من الأوَّل، وبمعنى مفعول من الثاني" (٤) ، " وفلانٌ دَعيٌّ من الدِّعوة بالكسرِ إذا أدَّعى غيرَ أبيه " (٥) .

والدُّعوة بضَّم الدال في الحرب (٦) .

" والادِّعاءُ في الحربِ : الاعتزاء، وهو أن يقول: أنا فلان بن فلان" (٧).

وقد عدَّ صاحبُ إكمال الأعلام لفظ (الدعوة) من المثلث المختلف المعاني (٨) ؛ حيث ثبت أن تغيُّر حركة الدَّال بين الفتح والضَّم والكسر يعطي دلالات مختلفة، وقد تناسبت

---

(١) المصباح المنير (د ع و) ١٩٤/١ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل – تح : مجموعة من المحققين – الناشر: مؤسسة الرسالة – ط١ ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م – مسند أبي هريرة برقم ٩٢٦١-١٤٩/١٥ .

(٣) تهذيب اللغة (د ع ا) ٧٧/٣ .

(٤) المصباح المنير (د ع و) ١٩٤/١ .

(٥) المغرب في ترتيب المعرب (د ع و) ١٦٥/١ .

(٦) ينظر: عمدة القاري ١٢٢/٥ ، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد بن على الأثيوبي ٣٣١/٨ – الناشر: دار المعراج الدولية – ط١ ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م .

(٧) الصحاح (د ع ا) ٢٣٣٧/٦ .

(٨) ينظر: إكمال الأعلام ٢١٦/١، ٢١٧ .

كلُّ دلالة مع حركتها من حيث الخفَّة والثقل، فدلَّت الفتحة على الدَّعوة إلى الطعام ، وهو دَعوة النَّاس ليأكلوا عندك ، وانظر ما يتبع ذلك من تبادل الودِّ والمحبَّة ، وبهجة النَّفس التي تناسب خِفَّة الفتحة، بينما دلَّت الكسرة على انتساب الإنسان إلى غير نسبه، ولا يخفى ما يصيبُ الرجلَ من الانكسار والذِّلة والمهانة إذا دُعي لغير قومه أو ادَّعاه غيرُ أبيه، وهو ما يتناسب مع الكسرة التى هي أثقل من الفتحة، وقد دلَّت الضمة على الاعتزاء في الحرب والافتخار بالنَّسب فيها، ودعاء الآخرين إلى لقاءه في الحرب، وذلك يتطلَّب قوَّةً في الشخصية والإرادة والعزيمة والإحاطة بفنون القتال الذي عبَّرت عنه الضمة الثقيلة .

الرِّكس والرَّكس

يقول العيني: " قوله (رِكس) بكسر الراء: الرِّجس، وبالفتح : ردُ الشيء مقلوباً " [١]

فرَّق العيني بين (الرَّكس) بكسر الراء وفتحها، وقد جاء التفريق بين البناءين في المعاجم العربية :

فـ " الرَّكس: قَلْبُ الشيء ، ركسه يركُسُه ركساً ، أي قَلَبَ أمرَه وأحاله فَهو رَكيسٌ ومركوس" [٢] ، " وقد رَكَسَه وأَرْكسَه بمعنى أي ردَّهم إلى كفرهم " [٣] ، " وركستُ الشيء رَكْساً – من باب قتل – قلبْتُه ورددتُ أوَّلَه على آخره ، وأركستُه بالألف رددتُه على رأسِه " [٤] .

" والرِّكس بالكسر: الرِّجس " [٥] وكلُّ مستقذرٍ رِكس " [٦] .

---

(١) عمدة القاري ٣٠٣/٢ .

(٢) جمهرة اللغة (ر س ك) ٧١٩/٢ .

(٣) الصحاح (ر ك س) ٩٣٦/٣ .

(٤) المصباح المنير(ر ك س) ٢٣٧/١ .

(٥) الصحاح (ر ك س) ٩٣٦/٣ ، تاج العروس (ر ك س) ١٣١/١٦ .

(٦) ينظر: المغرب في ترتيب المعرب (ر ك س) ص ١٩٧،المصباح المنير(ر ك س)٢٣٧/١.

وقد عدَّ صاحب إكمال الأعلام (الركس) من المثلث المختلف المعاني حيث قال: "الرَّكس والإركاس: قلب الشيء على رأسه، أو ردُّ أوَّلِه على آخره، والرِّكس: القذَرُ، والرُّكس: جمع رَكوس ، وهو فعولٌ من رَكس " (١) .

من خلال أقوال اللغويين يتأكد لنا أنَّ تناوب الحركات على راء (الركس) قد ترتَّب عليه تنوُّع في الدِّلالة، فقد دلَّت الفتحة على ردِّ وقلب الشيء وتحويله من حالة إلى أخرى، بينما دلَّت الكسرة الثقيلة على القذر والنجس، وكل ما استُقذر، وقد تناسبت تلك الدلالة مع ثقل الكسرة .

العَوَج والعِوَج

قال العيني: " والعَوَجُ بالفتح فيما كان مائلاً منتصباً كالحائط والعُود ، وبالكسر في الأرض والدِّين وشبههما، قاله ابنُ السِّكِّيت وابنُ فارس " (٢) .

نصَّ العيني على وجود فرق في الدلالة من خلال تغاير حركة عين (العوج) بين الفتح والكسر، وقد ورد التفريق بين الصِّيغتين في كتب اللغة :

فالعَوَجُ بفتح العين: " الانعِطاف فيما كان قائماً فمالَ كالرُّمح والحائط، وكلُّ ما كان قائماً يقالُ فيه العَوَج بالفتح ، ويقال: شَجَرتُك فيها عَوَجٌ شديدٌ " (٣) .

قال الأزهري: " وهذا لا يجوز فيه وفي أمثاله إلَّا العَوَج " (٤) .

وأمَّا العِوَج بكسر العين فهو خاصٌّ بالانحراف والميل في الدِّين والأرض .

قال ابن قتيبة: والعِوَجُ في الدِّين والأَرْض... والعَوَجُ فِي غيرِهما ما خالف الاستواءَ، وكانَ قائماً مثل الخشبة والحائط ونحوهما (٥) .

---

(١) إكمال الأعلام ٢٦١/١ .
(٢) عمدة القاري ٣/١٩ .
(٣) لسان العرب (ع و ج) ٣٣١/٢ .
(٤) تهذيب اللغة (ع و ج) ٣٢/٣ .
(٥) ينظر: أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣١٤- تح: محمد الدالي- الناشر: مؤسسة الرسالة(بلا ط وتاريخ) ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ٢٥٨/٢ – تح: فؤاد علي منصور- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م .

وأكَّد ذلك الجوهري فيما نقله عن بن السِّكيت في قوله :" قال ابن السِّكيت: وكلُّ ما كان ينتصبُ كالحائط والعود قيل فيه عَوَجٌ بالفتح، والعِوَجُ بالكسرِ ما كان في أرضٍ أو دِينٍ أو معاشٍ، يقالُ : في دينِه عِوَجٌ " (١) .

وكلُّ ما ورد في القرآن الكريم وكان الغرض منه نفي العوج عن الدين والقرآن والأرض جاء بكسر عين (العوج) ومنه قوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ (٣) .

وقُد أدرك الرَّاغب الأصفهاني الفرقَ بين البناءين فصرَّح أنَّ " العَوَج يُقالُ فيما يُدرَك بالبصرِ سَهلاً كالخشب المنتصب ونحوه، والعِوَج يقال فيما يُدرَك بالفكر والبَصيرة كما يكون في أرضٍ بسيط يُعرَفُ تَفاوتُه، والدِّين والمعاش " (٤) .

وبعد عرض هذه الأقوال تتَّضح المناسبة بين الدِّلالة والحركة الدَّالة؛ إذ إن الانحراف والميل في الدِّين وما يتعلَّق به يكون أشدُّ ثقَلاً وأوجب لشدَّة العقاب على صاحبه ؛ فالمنحرف عن تعاليم الدِّين والمجانب لأوامر الله – تعالى – قد يصلُ إلى حدِّ الكفر فيطرد من رحمة الله؛ لأنَّ ذلك يكون بإرادته ، فناسب ذلك كسر عين (العوج) ، أمَّا الميلُ في غير الدِّين والانحراف فيه فيما كان قائماً منتصباً كالخشبة والرمح والشجرة فهو أسهل من الميل في الدِّين ؛ فعبَّر عنه بفتح العين مناسبةً مع خِفَّة الفتحة .

---

(١) الصحاح (ع و ج) ٣٣١/١ .

(٢) سورة الزمر آية ٢٨ .

(٣) سورة طه آية ١٠٧ .

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٥٩٢– تح: صفوان الداودي – الناشر: دار القلم ، الدار الشامية – بيروت ط١ ١٤١٢هـ .

ويلاحظ في كلام الراغب أنَّ (العَوَج) بفتح العين يكون فيما يُدرك بالبصر، وهو أخفُّ – غالباً– وأسهلُ مما يُدرَك بالبصيرة ؛ لأنَّ الإنسان يمكن أن يرى بعينه ما لا يراه ببصيرته القلبية ؛ فالرؤيا بالبصيرة لا تتوفَّر إلا للمخلصين الذين خشعت قلوبهم ، وصَفَت نفوسُهم، على عكس (العِوج) بالكسر فإنَّه مختص بالأُمور المعنوية التي تحتاجُ إلى قُلوب صافية وبصيرة نافذة – كما في أمور الدين – فجاءت كلٌّ من الفتحة والكسرة مناسبة للدلالة المعبِّرة عنها من حيث الخفة والثقل .

القَدَح والقِدْح

قال العيني: " القَدَح بفتحتين واحد الأقداح التى هي للشرب فيها ، والقِدحُ بكسر القاف وسكون الدَّال: السَّهم قبل أن يُرَاش ويُركَّب نَصلُه وقِدْح الميسر أيضاً ، والقِدْح بالكسر: ما يُقْدَح به النَّار، والقِدْح المغرفة " [١] .

ورد التفريق بين دلالتي صيغتي البناء الواحد (القدح) من خلال تغيُّر حركة القاف بين الفتح والكسر .

فالقَدَح بفتح القاف والدَّال : " إناءٌ يُشرَبُ فيه الماءُ ونحوه " [٢] و القَدَح من الآنية بالتحريك: واحد الأقداح التي للشرب ... وهو اسم يجمعُ صغارَها وكبارَها والجَمْعُ أقدَاح، ومتَّخِذُها قَدَّاح ، وصِنَاعتُه القِدَاحة [٣] .

والقِدْحُ بكسر القاف وسكون والدّال: " السَّهمُ قبل أن يُرَاش ويُركَّب نصْلُه، وقِدْح الميسر أيضاً، والجمع قِدَاح وأقْدَاح وأَقادِيح " [٤]، فهو " العُودُ إذا بلغ فَشُذّب عنه الغصنُ وقُطِع على مقدار النِّبل الذي يُراد من الطول والقِصر" [٥]

---

(١) عمدة القاري ٨٦/٢ .
(٢) معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي ، وحامد قنيبي ص ٣٥٨ – الناشر: دار النفائس – ط١ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م .
(٣) ينظر: لسان العرب (ق د ح) ٥٥٤/٢ .
(٤) الصحاح(ق دح) ٣٩٤/١ .
(٥) المحكم (ق د ح) ٥٧٠/٢ .

يتَّضح مما سبق ذكره أن (القدح) بالفتح دلَّ على الآنية المستخدمة في شرب الماء ونحوه من السوائل، وهذه الدلالة الخفيفة عبَّرت عنها الفتحة التي هي أخف الحركات، بينما دلَّت الكسرة الثقيلة في قاف (القدح) على السَّهم المستخدم في الصَّيد، والقتل وإصابة الهدف، وإراقة الدماء في الحروب وغيرها ، كل ذلك عبَّرت عنه الكسرة الثقيلة دون الفتحة ؛ تناسباً بين الحركة والدلالة من حيث الخفَّة والثقل .

النِّفَاق والنَّفاق

قال العيني: " اعلم أنَّ النِّفاق هو بكسر النون، وأما النَّفاق بالفتح فهو من نفَقَ البيعُ نَفَاقاً أى: راج ، ونفَقَت الدَّابة نُفُوقاً: أى: ماتت " (١) .

من خلال الاطلاع على نص الشيخ الآنف الذكر يتبيَّن أنَّه ذكر فرقاً في الدِّلالة بين النِّفاق بكسر النون وفتحها، يعنى أن تغاير حركة النون أدَّى إلى وجود هذا الفرق الدِّلالي .

فالنِّفاق بكسر النون: فِعْلُ المنافق، والنِّفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر، مشتق من نَافِقَاء اليربوع، وهو اسمٌ إسلاميٌّ لم تعرفه العربُ بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يسترُ كفرَه ويُظْهرُ إيمانَه، وإن كان أصلُه في اللغة معروفاً، يُقال نافق يُنافق مُنافَقةً ونِفاقاً، وهو مأخوذ من النَّافقاء لا من النَّفق وهو السَّرب الذي يستتر فيه لستره كفره " (٢) .

والنَّفاق بفتح النُّون: ضدُّ الكساد، نَفَقَ ينْفُقُ فهو نافق (٣) "ونفَقَ البيعُ نَفَاقاً بالفتح أي: راج" (٤) ، " ونفَقَت السِّلعةُ تنْفُقُ نَفَاقاً بالفتح : غَلَت ورُغِب فيها" (٥) .

---

(١) عمدة القاري ١٥١/١ .

(٢) ينظر: لسان العرب (ن ف ق) ٣٥٩/١٠، تاج العروس (ن ف ق) ٤٣١/٢٦ .

(٣) جمهرة اللغة (ف ق ن) ٩٦٧/٢ .

(٤) الصحاح (ن ف ق) ١٥٦٠/٤ .

(٥) لسان العرب (ن ف ق) ٣٥٧/١٠ .

و" نفقت الدَّابةُ تنفُقُ نُفُوقاً أي ماتت " [١] .

واضحٌ مما سبق أنَّ النَّفَاق بفتح النون هو رواج السِّلعة والرَّغبة فيها ومن ثَمَّ بيعها ونفاد كمِّياتها، وهو ضدُّ كسادِها، وهذا المعنى دلَّت عليه الفتحة بخفَّتها .

أمَّا الكسرة الثقيلة فدلَّت على (النِّفاق) الذي هو إظهار خلاف ما في الباطن، وإظهار الإيمان باللسان وإخفاء الكفر في القلب – أعاذنا الله – والنِّفاق مرضٌ خطير وذنبٌ عظيم وجُرْمٌ كبير؛ إذ هو أخطر من الكفر الصريح الظاهر، وعقوبته أشد، ولذلك جعل الله المنافقين في قَعْرِ جهنَّم، وقد صرَّح – سبحانه وتعالى – بذلك في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [٢] ،

وذلك لعظم ضرر المنافقين وشدَّة خطرهم على الإسلام والمسلمين، وقد جعلهم الله شرَّاً من الكَافرين في العذاب لاستهزائهم بالدِّين [٣]، وإذا كان الكفَّارُ عدوَّاً ظاهراً للإسلام والمسلمين من الخارج فإنَّ المنافقين عدوٌّ خفيٌّ من الداخل فهم أعظم ضرراً وأشدُّ خطراً على المسلمين؛ لأنَّهم يخالطونهم ويعرفون أحوالهم .

وقد حدَّد الرسولُ – ﷺ – أوصافَ المنافق ليحذِّر المجتمع منه قائلاً : " إذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر" [٤] .

كلُّ هذه المخاطر والصِّفات الذميمة التي تندرج تحت (النِّفاق) والتي تهدِّد المجتمع المسلم، وتنقِّب عليه من أسفله عبَّرت عنها كسرة النون بثقلها تناسباً مع ثقل دلالة النفاق .

---

(١) الصحاح (ن ف ق) ٤/١٥٦٠ .
(٢) سورة النساء من الآية ١٤٥ .
(٣) ينظر: القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً د/ سعدي أبو حبيب ص ٣٥٧ – الناشر: دار الفكر – سورية ط٢ ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م .
(٤) صحيح مسلم – باب بيان خصال المنافق – برقم ١٠٦- ١/٧٨ – تح: محمود فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت (بلا ط وتاريخ) .

الفصل الثالث

بين الضَّم والكسر

الأُرْبة والإربة

قال العيني: " والأُرْبة بالضم العقدة ، والإربة بالكسر: المعتوه " (١) .

من خلال تغاير حركة همزة الإربة بين الضم والكسر صرَّح العيني أنَّ هناك تغيُّراً دلالياً ترتَّب على هذا التغاير، وهو ما صرَّحت به كتبُ اللغة:

قال ابن قتيبة : والأُرْبة: العقدة " (٢) " وتأريب العُقدة : إحكامها، يقال: أرِّب عقدتَك " (٣) .

ويبدو أنَّ التأريب الذي منه الأُربة فيه دلالة على الشدَّة والتَّشدُّد، وقد أكَّد ذلك الأصمعي قائلاً : " تأرَّبتُ في حاجتي تشدَّدت ، وأرَّبتُ العقدةُ أي شدَّدتُها ، وهي التي لا تنحلُّ حتى تُحلَّ حلَّاً ، وإنَّما سُميت قلادةُ الفرس والكلب أُرْبةٌ لأنها عُقِدَت في عُنقهما " (٤) .

ومن هذا الباب التَّأريب والتَّأرُّب وهو" التَّشدُّد في الشيء، يقال: تأرَّبتُ في حاجتي، وتأرَّب فلانٌ عليَّ أي تأبَّى وتشدَّد، وآربتُ على القوم أي: فُزتُ عليهم " (٥) .

---

(١) عمدة القاري ٢٤٠/٨ .

(٢) الجراثيم لابن قتيبة ٢٠٣/٢ – تح: محمد جاسم الحميدي – الناشر: وزارة الثقافة – دمشق (بلا ط وتاريخ)، غريب الحديث لابن قتيبة ٦٢٠/٢ – تح: د/ عبد الله الجبوري – الناشر: مطبعة العاني – بغداد – ط١ ١٣٩٧ه .

(٣) الصحاح (أ ر ب)٨٧/١ .

(٤) مقاييس اللغة (أ ر ب) ٩١/١ .

(٥) الصحاح (أ ر ب) ٨٧/١ .

والإربة بالكسر الواردة في قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾ (١) عن سعيد بن جبيـــر: المعتوه (٢) " الذي لا عقل له محكم بمنزلة المعتوه وما أشبه ذلك " (٣) .

فقد دلَّت كسرة الهمزة في (الإربة) على من لا عقل له، ولا يُخْشى على النساء منـــه، وقد تناسبت تلك الدلالة مع الكسرة التي دلَّت على انكسار حِدَّة شـــهوة المعتـــوه الـــذي لا حاجة له بهن، ولا يعلم محاسنهن؛ لذا لا يُخشى على النساء من مخالطته، واطلاعـــه على بعض أمورهن .

وقد دلَّت الضمة الثقيلة على إحكام العقدة التي لا تُحـــلُّ إلا بعنـــاء ومشـــقة وقصـــدٍ واجتهاد في حلِّها؛ لأنها محكمة قوية، وعلى العروة التي تثبت في حائط أو وتـــد يُـــربَط بها الحيوان والدَّابة، وعلى القلادة التي تُربَط في عنق الحيوان فيقادُ بها (٤) .

وانظر إلى ما يحتاجه الحيوان من حبل متين وربط محكم يتناسب وقوَّته، حتى يـــأمن عليه من الانفلات والشرود، كلُّ ذلك دلَّت عليه الضمة دون غيرها .

الإمّة والأُمّة

قال العيني: " والإمة بالكسر لغة في الأُمة، والإمة بالكسر أيضاً النعمة " (٥) .

أدى تغير الحركات– الكسرة والضمة – على همزة (الأمة) إلى تنوُّع الدلالة .

فالأُمة بضم الهمزة : " كلُّ جماعة يجمعها أمرٌ إما دِينٌ أو زمنٌ أو مكانٌ واحد ، سواء كان الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً " (٦) .

---

(١) سورة النور من الآية ٣١ .

(٢) ينظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام ٢٦١/٢ – تح: د/ محمد عبد المعيد خان – الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد – ط١ ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤ م .

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس ٣١١/١ .

(٤) ينظر: المعجم الوسيط – باب الهمزة – ص ١٢ .

(٥) عمدة القاري ٥٠/٢ .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٦٢ .

ولفظ الأُمة – بضم الهمزة – مصطلحٌ جامع لكل ما يدبُّ على وجه الأرض من إنسانٍ أو طير أو حيوان أو حشرات، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم ﴾ (١) " أي : جماعات مماثلة للناس في الخلق والرزق والحياة والموت والحشر"(٢) .

"والأُمَّة: الطريقة والدِّين ، يقال : فلان لا أُمة له أي: لا دينَ له ولا نِحلة " (٣) .

" والأُمَّة: الرجل المنفرد بدينٍ(٤) كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتٗا ﴾ (٥) و" يقال لكلِّ جيلٍ من الناس والحيوان أُمَّة " (٦) .

و" الأُمَّة: الحين، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾ (٧) قال : بعد حين من الدَّهر" (٨) .

"والإمَّة بالكسر: النِّعمة، والإمَّة أيضاً : لغة في الأُمَّة " (٩) .

والإمَّةُ غضارة العيش والنِّعمة، وبه فُسِّر قول عبد الله بن الزبير

فَهَل لكُم فيكم وأنتم بإمَّـــــةٍ ٠٠ عليكم غَطاءُ الأَمنِ مَوطِئكم سَهْل (١٠)

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٣٨ .
(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٦٢/٢ – تح: الشيخ/ محمد علي، عادل أحمد عبد الموجود – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ ١٤١٨هـ .
(٣) لسان العرب (أ م م) ٢٤/١٢ .
(٤) النهاية (أ م م) ٦٨/١ .
(٥) سورة النحل من الآية ١٢٠ .
(٦) النهاية (أ م م) ٦٨/١ .
(٧) سورة يوسف من الآية ٤٥ .
(٨) تهذيب اللغة (أ م) ٤٥٤/١٥ .
(٩) الصحاح (أ م م) ١٨٦٤/٥ .
(١٠) البيت منسوب لابن الزبير في المحكم (أ م م) ٥٧١/١٠ ، لسان العرب (أ م م) ٢٤/١٢ .

والإمَّة بالكسر: العيش الرَّخي، يقال: هو في إمَّةٍ من العيش وآمةٍ أي : في خَصبٍ [١] .

وقد عدَّ صاحب إكمال الأعلام لفظَ (الأمة) من المثلث اللغوي المختلف المعاني في قوله: الأَمَّة: المرَّة من أمَّه: قصدَه، والإمَّة: النِّعمة، وهيئة الإمامة، والأُمَّة: الجماعة، والحينُ والقامة ، والوجه، والدِّين، والرجلُ الذي يَعْلَمُ الخير .. [٢] .

مما سبق يُلاحظ أنَّ تعاقب الحركات على همزة الأُمَّة أدَّى إلى تنوُّع دلالي ، وقد ارتبطت كلٌّ من هذه الدَّلالات بمدى خِفَّة وثقل الحركة الدَّالة عليها، فقد دلَّت الكسرة على النِّعمة ورغَدِ العيش وغضارته وسعته، بينما أعطت الضمة الثقيلة عدَّة دلالات للفظ (الأُمَّة) بالإضافة إلى ما أضافته من عمق دلالي للكلمة فهي تشملُ الأمم والجماعات التي خلقها الله " كلُّ نوعٍ منها على طريقةٍ قد سخَّرها عليها بالطبع ، فهي بين ناسجة كالعنكبوت، وبانيةٍ كالسُّرفة [٣]، ومدَّخرة كالنمل، ومعتمدة على قوت وقته كالعصفور والحمام، إلى غير ذلك من الطبائع التي تخصَّص بها كلُّ نوع " [٤] فالفرق واضحٌ بين الدلالتين اللتين أعطاهما تغاير الحركات، فأعطت الكسرة الخفيفة دلالة خفيفة، وأعطت الضمة الثقيلة دلالةً أعمق وأثقل .

الحِلْم والحُلْم

قال العيني: " والأحلام جمع حِلْم بكسر الحاء، وكأنَّه من الحِلْم بمعنى الأناة والتثبُّت في الأُمور، وذلك من شعار العقلاء ، وأَمَّا بالضمِّ فعبارة عمَّا يراه النائم " [٥]

---

(١) لسان العرب (أ م م) ٢٤/١٢ .

(٢) إكمال الأعلام ٥٣/١ بتصرف .

(٣) دويبة تبني بيتاً حسناً تكون فيه يقال في المثل: أصنع من سرفة. الجراثيم لابن قتيبة ٢٨٧/٢

(٤) المفردات للراغب (أ م) ص ٨٦ .

(٥) عمدة القاري ٨٦/٢٤ .

صرَّح العيني أنَّ الحِلْمَ – بكسر الحاء– بمعنى الأناة والتثبُّت في الأمور، والحُلْمُ بضم الحاء : ما يراه النائم ، ومعنى ذلك أنَّ تغيُّر حركة الحاء بين الكسر والضم قد ترتَّب عليه تنوُّع في الدلالة .

وقد صرَّح الراغبُ أنَّ " الحِلْم ضبط النَّفس والطَّبع عن هيَجان الغضب، وجمعه أحلام قال الله تعالى: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ﴾ (١) .

قيل معناه عقولهم ، وليس الحِلْم في الحقيقة هو العقل، لكن فسَّره بذلك لكونه من مسبِّبات العقل" (٢) .

" والحلم ضدُّ الطيش " (٣) .

والحِلْم أيضاً " بمعنى الصَّبر، لكن في الحِلْم الصَّفح، وأمن المؤاخذة، وهو ضدُّ البطش والسَّفه والاستشاطة " (٤) .

و" الحُلْم بالضَّمِّ ما يراه النائمُ " (٥) أي الرؤيا .

قال ابن الأثير: " والرؤيا والحُلم عبارة عمَّا يراه النائمُ في نومِه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحُلْمُ على ما يراه من الشَّرِّ والقبيح، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ (٦)، ويستعمل كلٌّ واحدٍ منهما مَوضِع الآخر " (٧) .

---

(١) سورة الطور من الآية ٣٢ .

(٢) المفردات ص ٢٥٣ .

(٣) الجمهرة (ح ل م) ١أ٥٦٥ .

(٤) مشارق الأنوار(ح ل م) ١٩٦/١ .

(٥) الصحاح (ح ل م) ١٩٠٣/٥ .

(٦) سورة يوسف من الآية ٤٤ .

(٧) النهاية (ح ل م) ٤٣٤/١ .

فقد أدى تغاير حركة حاء (الحلم) بين الكسر والضم إلى تغاير الدلالة، وقد ارتبطت كلُّ حركة مع دلالتها من حيث الخِفَّة والثقل، فأعطت الكسرة الثقيلة نسبياً دلالة القدرة على ضبط النَّفس وكبح جماحِها ، ومنعها من الطيش والهيجان عند وجود سبب يدعو إلى ذلك، وعند ذلك يوصَف الإنسان القادر على ضبط نفسه والمتحكم فيها بالحليم وهو" الذي لا يستفزُّه غضبٌ، ولا يستَخِفه جهل جاهل ولا عصيان عاصٍ " (١)

وأعطت الضمة الثقيلة معنى ما يراه النائم من الأحلام المزعجة، والكوابيس المقلقة التي يتسبب فيها الشيطان، والحُلم والاحتلام الذي هو الجماع في النوم .

الخِطبة والخُطبة

قال العيني : " الخِطبة بالكسر اسم من خطب يخْطب من باب نصَر ينصُر فهو خاطب، وأمَّا الخُطبة بالضَّمِّ فهو من القول " (٢) .

نظر العيني إلى حركة خاء (الخطبة) في تحديد دلالتها، حيث صرَّح بأن المكسورة تختلف عن المضمومة، فالأولى خِطبة المرأة وطلبها للزواج، والثانية الموعظة بالقول .

وقد فرَّق كثيرٌ من العلماء بين الخِطبة والخُطبة :

فالأولى " أن يخطب الرجلُ المرأة فتركن إليه، ويتَّفِقا على صداق معلوم ويتراضيا، ولم يبق إلا القصد " (٣) .

وقد عبَّر القرآنُ بالمكسورة عن هذا المعنى فقال: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ (٤)، فهي بالكسر تختصُّ بطلب المرأة للزواج (٥) .

---

(١) المطلع على ألفاظ المقنع ص ٤٨٤ .

(٢) عمدة القاري ٢٥٩/١١ .

(٣) النهاية لابن الأثير (خ ط ب) ٤٥/٢ .

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٣٥ .

(٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٥٥٠/٢ .

والخُطبة بالضمِّ هي عبارة عن كلام مشتمل على البسملة والحمدلة، والثناء على الله تعالى بما هو أهله، والصلاة على النبي ﷺ [١] .

وقد عدَّ صاحب إكمال الأعلام لفظ(الخطبة) من المثلث المختلف المعاني[٢]؛ حيث تختلف دلالته باختلاف حركة الخاء، وقد تناسبت كلُّ دلالة من هذه الدلالات مع الحركة الدَّالة عليها من حيث الخِفَّة والثِّقل، فقد دلَّت الكسرة الثقيلة على طلب المرأة للزواج الذي هو الرباط المقدَّس المنظِّم للعلاقة الاجتماعية والجنسية بين أفراد المجتمع، فالخِطبة هي المقدِّمة لهذه العلاقة الشرعية التي تربط بين الرجل والمرأة، وتحفظ النوع البشري .

وقد دلَّت الضمة التي هي أثقل من الكسرة على " الكلام المنثور الذي يخاطِبُ به متكلِّمٌ فصيح جمعاً من الناس لإقناعهم " [٣] .

وقد تكون الخُطبة سبباً في إصلاح المجتمع، وتقويم سلوك أفراده ؛ لاشتمالها على الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، هذا إلى جانب استخدام الدُّعاة لها في الدُّخول إلى الإسلام ، وفي هذا من الأهمية مالا يخفى ، كلُّ ذلك دلَّت عليه الضمة دون غيرها من الحركات .

الرُّجز والرِّجز

قال العيني " الرُّجز بالضمِّ الصَّنم ، وبالكسر النجاسة والمعصية " [٤] .

من خلال تغاير حركة راء (الرجز) بين الضم والكسر أوجد العيني فرقاً في الدلالة بين صيغتي البناء الواحد .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ٧٥٢/١ .
(٢) ينظر: إكمال الأعلام ١٨٩/١ .
(٣) القاموس الفقهي ١١٨ .
(٤) عمدة القاري ٢٦٧/١٩ .

وقد ورد لفظ (الرجز) في القرآن الكريم بالضم والكسر، قال تعالى: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[١] قيل في معناه : " صنم كانوا يعبدونه " [٢] .

وقد قرئ (الرجز) بضم الراء وكسرها[٣] " فمن ضمَّ الراء وجَّهه إلى الأوثان، وقال: معنى الكلام: والأوثان فاهجر عبادتها واترك خدمتها، ومن كسر الراء وجَّهه إلى العذاب، وقال في معناه: والعذاب فاهجر، أي ما أوجب لك العذاب من الأعمال فاهجر"[٤].

قال الجوهري: " الرِّجز: القذر مثل الرجز، وقرئ قوله تعالى : ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ بالكسر والضم قال مجاهد: هو الصنم " [٥] .

وحاصل قول الجوهري التفريق بين الرِّجز بالكسر والضم .

وأمَّا الرِّجز الذي هو العذاب فلا يكون إلا بالكسر، قال تعالى: ﴿ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ ﴾[٦] قيل في تفسيره : الطاعون ، وقيل العذاب [٧] .

---

(١) سورة المدثر آية ٥ .

(٢) معاني القرآن للأخفش -١٠٤/١- تح : د/ هدى قراعة – مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ ١٤١١ه = ١٩٩٠م .

(٣) قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِكَسْرِ الرَّاءِ، وَهِيَ لُغَةُ قُرَيْشٍ ، وَالْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ وَالسُّلَمِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَأَبُو شَيْبَةَ وَابْنُ مُحَيْصِنٍ وَابْنُ وَثَّابٍ وَقَتَادَةُ وَالنَّخَعِيُّ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَالْأَعْرَجُ وَحَفْصٌ: بِضَمِّهَا . ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ٣٢٦/١٠- تح : صدقي محمد جميل – الناشر: دار الفكر – بيروت – ط ١٤٢٠ هـ .

(٤) تفسير الطبري ٤١٠/٢٣ .

(٥) الصحاح (ر ج ز) ٢٤١٦/٤ .

(٦) سورة الأعراف من الآية ١٣٤ .

(٧) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧١- تح: أحمد صقر- دار الكتب العلمية ط ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م ، تفسير الطبري ٤٠٠/١٠ ، الوجيز للواحدي ص ٤١٠ .

واضحٌ من عرض أقوال اللغويين والمفسرين تغاير دلالة (الرجز) بالكسر والضم بناءً على تغاير حركة الراء ، وقد نُقل عن الكسائي : الرُّجز بالضمِّ : الوثن ، وبالكسر العذاب[١] .

وقد تناسبت كلُّ دلالة مع الحركة الدَّالة عليها من حيث الخِفَّة والثقل ، فأعطت الضمة الثقيلة معنى الوثن وعبادته ، والشرك بالله – أعاذنا الله – بينما أعطت الكسرة التي هي أخف من الضمة دلالة أخف مما سبق وهي العذاب أو القذر والنَّجَس ، فأُعطي المعنى الثقيل للحركة الأثقل، والمعنى الأخف للحركة الأخف .

رِّحلة والرُّحلة

نص العيني: الرِّحلة بالكسر من الارتحال .. وحكى أبو عُبيدة ضمِّها، قلت: الرُّحلةُ بالضمِّ : الوجه الذي تريده [٢] .

رأى العيني وجود فرق دلالي بين صيغتي البناء الواحد (الرحلة) بسبب تغاير حركة الراء بين الكسر والضم، فالمكسورة: الارتحال والذِّهاب، وإعداد العُدة، وقطع المسافات، والمضمومة: المقصد والوجه والمكان الذي يُرتَحلُ إليه، وهذا ما أكده اللغويون :

قال الأزهري: " قال أبو عمرو: الرِّحلة: الارتحال، والرُّحلة بالضمِّ: الوجه الذي تريده، تقولُ: أنتم رُحلتي، أي الذين أرتحل إليهم " [٣] .

وقد وردت المكسورة في القرآن الكريم بمعنى المسير والذهاب إلى المكان، قال تعالى: ﴿ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ [٤] "وبالضم: الوجه الَّذي تقصدُه وتريدُه، وتأخذ فيه "[٥]

---

(١) ينظر: شمس العلوم ٢٤١٦/٤ .

(٢) ينظر: عمدة القاري ١٠٠/٢ .

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (ر ح ل) ٧/٥ ، الصحاح (ر ح ل) ١٧٠٧/٤ .

(٤) سورة قريش آية ٢ .

(٥) تاج العروس (ر ح ل) ٦٠/٢٩ .

وقد اكتسبت كلٌّ دلالة قوَّتها من قوة الحركة الدَّالة عليها، فأعطت الكسرة الثقيلة معنى المسير، وإعداد العُدة، وقطع المسافات، بينما أعطت الضمة الأثقل من الكسرة معنى المقصد والجهة، والغاية المرجوَّة؛ تناسباً مع ثقلها، ولاسيما إذا كان المقصد مقدَّساً، " يقال: مكة رُحلتي، أي وجهي الذي أريد أن أرتحل إليه، ومن هنا أُطلق على الشريف أو العالم الكبير الَّذي يُرتَحلُ إليه لِجاهه أو علمه " (١) .

وقد أضاف ابن الأثير معنى جديداً (للرُحلة) بضم الراء يؤكد أن الحركة الثقيلة للدلالة الثقيلة في قوله: " الرُّحلة بالضم: القوَّة والجودة أيضاً " (٢) فقوَّة الشيء وجودته تتناسبان وثقل الضمة المعبِّرة عنهما .

العِرْس والعُرْس

نص العيني :" والعِرْس بالكسر امرأة الرجل، وبالضّمِّ طعامُ الوليمة " (٣) .

صرَّح العيني بتغيُّر دلالة الصِّيغة بناءً على تغيُّر دلالة حركة العين في لفظ (العرس)؛ حيث دلَّت المكسورة على امرأة الرجل، والمضمومة على طعام الوليمة، وهو ما أكدته المعاجم العربية، فقد صرَّح الخليل بأنَّ " العِرْس امرأة الرجل، ولبؤة الأسد عِرسه، والعَروسُ نعتٌ للرَّجل والمرأة استويا فيه ما داما في تعريسهما إذا عرَّس أحدُهما بالآخر" (٤)، والعُرسُ بالضمِّ : الزِّفاف .. والعُرس أيضاً طعام الزفاف (٥) .

" والعَرْس أيضاً : النِّكاح ؛ لأنه المقصود بالذات من الإعراس " (٦) .

---

(١) تاج العروس (ر ح ل) ٢٩/٦٠ .

(٢) النهاية (ر ح ل) ٢/٢٠٩ .

(٣) عمدة القاري ١٥/١٨ .

(٤) العين (ع ر س) ١/٣٢٨ .

(٥) المصباح المنير (ع ر س) ٢/٤٠١ .

(٦) تاج العروس (ع ر س) ١٦/٢٤٧ .

وقد عدَّ صاحب إكمال الأعلام (العرس) من المثلث اللغوي المختلف الدلالات في قوله: " العَرْس: حائطٌ بين حائطي البيت يُسْتعان به على توقِّي البرد، ومصدر عرس البعيرَ: شدَّ في عنُقِه العِراس وهو حبل، والعِرْس: كلُّ واحدٍ من الزوجين، والعُرْس: النكاح نفسه " (١) .

أوردت المعاجم العربية (العُرس) بضمِّ العين وسكون الراء بمعنى طعام الوليمة أو الحفل أو النِّكاح (٢)، وقد تناسبت تلك الدِّلالة مع ثقل الضمة، بينما أوردت (العِرْس) بكسر العين وسكون الراء بمعنى الزوجة وامرأة الرجل، وقد تناسبت كسرة العين مع رقة المرأة وتدلُّلها وأنوثتها، فعبَّرت الحركة الثقيلة عن المعنى الأثقل، والحركة الأخف عن المعنى الأخف؛ تناسباً بين الحركة والدلالة .

(١) إكمال الأعلام ٤١٨/٢ ، ٤١٩ .

(٢) ينظر: معجم الصواب اللغوي د/أحمد مختار عمر ٥٢٩/١-عالم الكتب القاهرة – ط١ ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمه تتم الصالحات، وتنفرج الهموم والكربات، وبرحمته تُرفَع الدَّرجات، وتُغفَرُ الذنوب والزلات، وبمنِّه وفضله يُعطى الجزيلَ ويهدى إلى سواء السبيل، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على من جاء بالهُدَى والنور، ومحكم الآيات، وبه خُتمَت الرِّسالات والنبوَّات .

وبعد ،،،،

فقد يسَّر الله – تعالى – بفضله وعونه الانتهاءَ من كتابة هذا البحث، والفراغَ من صناعته، وقد توصَّلتُ – بفضل الله وعونه – إلى بعض النتائج وسأوجزها فيما يلي:

- الفتحة أخف الحركات ولا تحتاج في إخراجها إلى جهدٍ عضلي كالضمَّة والكسرة ؛ لذا نلاحظ أنَّها أكثر انتشاراً في اللغة العربية من غيرها، وقد ارتبطت بالفُضْلات – المنصوبات– وهي كثيرة، بينما ارتبطت الضمة الثقيلة بالعُمَد – المرفوعات – وهي قلية في الكلام .
- إنَّ تناوب الحركات في اللغة لم يكن أمراً اعتباطياً جزافياً، إنما هو لتنوع الدلالة وإثراءها، وإظهار الفروق الدلالية بين الجذور المتشابهة .
- ظاهرة تنوُّع الدلالة تبعاً لتناوب الحركات على الجذر اللغوي الواحد ظاهرة قديمة في اللغة فطن إليها العلماء منذ القدم، وقد بدأ التأليف فيها بشكلٍ مستقل على يد قطرب .
- الحركات تخرج عن طريق أشكال وهيئات متنوعة لأعضاء النطق، ويختلف الجهد المبذول من حركة لأخرى عند النطق بها؛ لذا تباينت من حيث الخفَّة والثقل .
- لما كانت الحركات متفاوتة من حيث الخِفَّة والثقل تبعاً لتنوع مخارجها، ووفقاً للجهد المبذول عند النطق بها، فقد تبع هذا التفاوت تناسب بين الحركة والدلالة المنوطة بها– غالبا– فما كان ثقيلاً من الحركات أُعطي للمعنى الأثقل والأقوى، وما كان خفيفاً أُعْطِي للمعنى الأخف من الثقيل .

قائمة المصادر والمراجع

١. الإبانة في اللغة العربية لسلمة العوتبي- تح: مجموعة من المحققين – الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة – عمان – ط١ ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م .

٢. إحياء النحو لابراهيم مصطفى – الناشر: مؤسسة هنداوي .

٣. أدب الكاتب لابن قتيبة- تح: محمد الدالي- الناشر: مؤسسة الرسالة(بلا ط وتاريخ)

٤. إصلاح المنطق لابن السكيت – تح: محمد مرعب – دار إحياء التراث العربي- ط ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م .

٥. أصوات اللغة العربية د/ عبد الرحمن أيوب- مكتبة الشباب .

٦. الأصوات اللغوية د/ أنيس- مكتبة الأنجلو ط٥ ١٩٧٥م .

٧. أعلام الحديث للخطابي- تح: د/محمد بن سعد- الناشر: جامعة أم القرى ط١ ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م .

٨. الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب لمحمد اليفرني- تح: د/عبد الرحمن العثيمين – الناشر: مكتبة العبيكان ط ٢٠٠١م .

٩. إكمال الأعلام بتثليث الكلام لمحمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني – تح: سعد الغامدي – الناشر: جامعة أم القرى ط١ ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م .

١٠. الأمثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب بن عباد – تح: الشيخ محمد حسن – مكتبة النهضة بغداد – ط١ ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م .

١١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي- تح: محمد المرعشلي – دار إحياء التراث العربي- بيروت – ط١ ١٤١٨هـ .

١٢. إيجاز التعريف في علم التصريف لابن مالك- تح: محمد المهدي- الناشر: عمادة البحث بالجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ط١ ١٤٢٢هـ= ٢٠٠٢م .

١٣. الإيضاح في علل النحو للزجاجي- تح: د/مازن المبارك- الناشر: دار النفائس بيروت – ط٥ ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م .

١٤. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي الأثيوبي- الناشر : دار بن الجوزي- ط١ ١٤٢٦هـ- ١٤٣٦ه .
١٥. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان – تح : صدقي محمد جميل – الناشر: دار الفكر – بيروت – ط ١٤٢٠ هـ .
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي- تح: مجموعة من المحققين- الناشر: دار الهداية (بلا ط وتاريخ) .
١٧. تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري- تح: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين بيروت – ط٤ ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م .
١٨. تحرير ألفاظ التنبيه لابن شرف النووي- تح: عبد الغني الدقر- الناشر: دار القلم- دمشق – ط١ ١٤٠٨هـ .
١٩. التعريفات الفقهية لمحمد البركتي- الناشر: دار الكتب العلمية ط١ ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م
٢٠. تفسير الشعراوي- مطابع أخبار اليوم (بلا ط وتاريخ) .
٢١. تهذيب اللغة للأزهري- تح: محمد عوض مرعب – دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ٢٠٠١م .
٢٢. التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي- الناشر: عالم الكتب – القاهرة – ط١ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
٢٣. الجراثيم لابن قتيبة – تح: محمد جاسم الحميدي – الناشر: وزارة الثقافة – دمشق (بلا ط وتاريخ).
٢٤. جمهرة اللغة لابن دريد- تح: رمزي بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – ط١ ١٩٨٧م .
٢٥. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي – تح: الشيخ/ محمد علي، عادل أحمد عبد الموجود – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ ١٤١٨هـ .

٢٦. الحماسة للبحتري- تح: د/ محمد ابراهيم، أحمد محمد عبيد – الناشر: هيئة أبي ظبي للثقافة والتراث – عام النشر ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م .
٢٧. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي- تح: الشيخ عبدالسلام هارون – الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٤ ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م .
٢٨. الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي لابن المبرد- تح: رضوان مختار- الناشر: دار المجتمع- السعودية- ط١ ١٤١١هـ= ١٩٩١م .
٢٩. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى لمحمد بن على الأثيوبي- الناشر: دار المعراج الدولية – ط١ ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م .
٣٠. الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري – تح: د/ حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .
٣١. سر صناعة الإعراب لابن جني- دار الكتب العلمية بيروت – ط١ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م .
٣٢. شرح ديوان المتنبي للعكبري- تح: مجموعة من المحققين – الناشر: دار المعرفة- بيروت (بلا ط وتاريخ) .
٣٣. شرح صحيح البخاري لابن بطال- تح: ياسر ابراهيم – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – ط٢ ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م .
٣٤. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لابن فارس – الناشر: محمد علي بيضون – ط١ ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م .
٣٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي- دار الكتب العلمية- بيروت (بلا ط وتاريخ) .
٣٦. صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان لمحمد بن حبان- تح: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٢ ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م .

٣٧. صحيح مسلم – تح: محمود فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي– بيروت (بلا ط وتاريخ) .
٣٨. علم الصوتيات د/ عبد العزيز علام ، د/ عبد الله ربيع– مكتبة الرشد ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .
٣٩. علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د/ ابراهيم أبو سكين– ط٢ ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٨م .
٤٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني– دار إحياء التراث العربي _ بيروت (بلا ط وتاريخ) .
٤١. غريب الحديث لابن قتيبة– تح: د/ عبد الله الجبوري – الناشر: مطبعة العاني – بغداد – ط١ ١٣٩٧هـ .
٤٢. غريب الحديث للقاسم بن سلام – تح: د/ محمد خان – مطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد– ط ١٣٨٤هـ .
٤٣. غريب الحديث للقاسم بن سلام – تح: د/ محمد عبد المعيد خان – الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد – ط١ ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .
٤٤. غريب القرآن لابن قتيبة – تح: أحمد صقر– دار الكتب العلمية ط ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م
٤٥. الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهرري – تح: أحمد المزيدي– الناشر: مكتبة نزار – السعودية – ط١ ١٤١٩هـ= ١٩٩٩م .
٤٦. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري– تح: محمد ابراهيم سليم– دار العلم والثقافة– القاهرة (بلا ط وتاريخ) .
٤٧. في المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص– تح: نبيل جرار– الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية– قطر– ط ١ ، ١٤٢٩ هـ .

٤٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي– الناشر: المكتبة التجارية الكبرى– مصر – ط١ ، ١٣٥٦هـ .
٤٩. القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً د/ سعدي أبو حبيب– الناشر: دار الفكر– سورية ط٢ ، ١٤٠٨ هـ= ١٩٨٨م .
٥٠. كتاب الأفعال لابن القطاع – الناشر: عالم الكتب ط١، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م .
٥١. كتاب الأفعال لابن القوطية – تح: علي فودة – الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٢ ، ١٩٩٣ م .
٥٢. كتاب التعريفات للجرجاني– تح : مجموعة من العلماء – الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – ط١، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .
٥٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري– الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣ ، ١٤٠٧ هـ.
٥٤. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للكرماني– الناشر: دار إحياء التراث العربي – ط١ ، ١٤٠١هـ=١٩٨١م .
٥٥. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح لشمس الدين البرماوي– تح: لجنة مختصة – الناشر: دار النوادر – سوريا – ط١، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م .
٥٦. اللباب في علوم الكتاب لابن عادل– تح: الشيخ/ عادل عبد الموجود، علي معوض– الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م .
٥٧. اللغة العربية معناها ومبناها د/ تمام حسان– عالم الكتب – ط٥ ،١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م
٥٨. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى الأصبهاني– تح:عبد الكريم العزباوي–الناشر: جامعة أم القرى، دار المدني جدة ط١، ١٤٠٦هـ.= ١٩٨٦م

٥٩. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لمحمد بن عمر المديني- تح: عبد الكريم العزباوي- الناشر: جامعة أم القرى – ط١، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .
٦٠. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة – تح: د/عبد الحميد هنداوي – الناشر: دار الكتب العلمية – ط ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م .
٦١. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي- تح: فؤاد علي منصور- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨م .
٦٢. مسند أحمد تح: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالةط١، ١٤٢١هـ =٢٠٠١ م
٦٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل – تح : مجموعة من المحققين – الناشر: مؤسسة الرسالة – ط١ ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م .
٦٤. مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض – الناشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث (بلا ط وتاريخ) .
٦٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي- الناشر: المكتبة العلمية – بيروت (بلا ط وتاريخ) .
٦٦. المطلع على ألفاظ المقنع لمحمد بن أبي الفتح – تح: محمود الأرناؤوط ، وياسين الخطيب – الناشر: مكتبة السوادي ط١، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٣م .
٦٧. معاني القرآن للأخفش- تح: د/ هدى قراعة – مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م .
٦٨. معاني القرآن للفراء- تح: مجموعة من المحققين – الناشر: دار المصرية – ط١ (بلا تاريخ) .
٦٩. معجم الصواب اللغوي د/أحمد مختار عمر-عالم الكتب القاهرة – ط١، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م .
٧٠. المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة – الناشر: دار الدعوة .

٧١. معجم ديوان الأدب للفارابي- تح: د/ أحمد مختار عمر- ط مؤسسة دار الشعب ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م ، الصحاح (خ ر ص) ١٠٣٦/٣ .
٧٢. معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي، وحامد قنيبي- الناشر: دار النفائس – ط١، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م .
٧٣. معجم متن اللغة – الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٣٧٧: ١٣٨٨هـ .
٧٤. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني- تح: صفوان الداودي – الناشر: دار القلم ، الدار الشامية – بيروت ط١ ، ١٤١٢هـ .
٧٥. المفصَّل في صنعة الإعراب للزمخشري – تح: د/علي بو ملحم – الناشر: مكتبة الهلال – بيروت – ط١، ١٩٩٣م .
٧٦. المفيد في الأصوات والتجويد د/ يحيى الجندي- ط٥ ، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م .
٧٧. المنجد في اللغة لكراع النمل- تح: د/أحمد مختار عمر ، د/ ضاحي عبد الباقي- الناشر: عالم الكتب القاهرة – ط٢، ١٩٨٨م .
٧٨. الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي- تح: د/ عبد الحميد هنداوي – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – ط ٢ ، ١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م .
٧٩. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية- تأليف: علي الجارم ومصطفى أمين- الناشر: الدار المصرية السعودية (بلا ط وتاريخ) .
٨٠. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير- تح: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي- المكتبة العلمية – بيروت ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .
٨١. الوظيفة الدلالية للصوائت والصوامت في التراث العربي تأصيلاً ودراسةً وتطبيقاً د/ عثمان الحاوي- ط١ ، ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م .

فهـرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	٨٢٥
التمهيد : الأصوات اللغوية .	٨٢٧
الفصل الأول : بين الضم والفتح .	٨٣٧
الفصل الثاني : بين الفتح والكسر.	٨٥٦
الفصل الثالث : بين الضَّم والكسر..	٨٦٦
الخاتمة .	٨٧٧
فهرس المصادر والمراجع	٨٧٨
فهرس الموضوعات	٨٨٥